تاريخ

خليج الاسكندرية القديم
وترعة المحمودية

للأمير

عمر طوسون

سنة ١٣٦١ هـ — ١٩٤٢ م

مطبعة العدل بشارع كنيسة الامريكان بمحطة الرمل باسكندرية

تاريخ

خليج الاسكندرية القديم

وترعة المحمودية

للأمير

عمر طوسون

سنة ١٣٦١ هـ — ١٩٤٢ م

مطبعة العدل بشارع كنيسة الأمريكان [illegible] بالاسكندرية



محمد علي باشا

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

هذه نبذة عن ترعة الاسكندرية نقلناها إلى العربية من المجلد الثامن من مؤلفنا الفرنسى : « تاريخ النيل » المطبوع بمطبعة المجمع العلمى بالقاهرة سنة ١٩٢٥ م وضمنا إليها ماكتبه المؤرخون عنها آملين أن يكون من وراء نشرها على أبناء هذا الوطن العزيز بلغة بلادهم المحبوبة ما يعود عليهم بالنفع لا سيما أنها تتعلق بتاريخ مرفق عظيم من مرافق بلادهم الحيوية . والله المسئول أن يوفقنا إلى ما فيه نفع الوطن وأهله ؟

عمر طوسون

خليج الاسكندرية

لقد سمى المؤرخون على اختلاف عصورهم مجرى ماء باسم « خليج الاسكندرية » على حين أن هذا المجرى انتقل من مكانه خمس مرات فى فترات متباينة فظن الكثيرون أنه هو هو منذ نشأته الأولى .

وسنذكر فيما يلى تاريخ هذا الخليج وتاريخ الفرع الكانوبى والتطورات التى لحقت بهذا الفرع إلى أن صار ترعة . ونبين أيضاً بعض أوصافه العامة والخاصة ثم ننتقل بعد ذلك إلى استقصاء كل قسم من أقسامه :

لمحة عامة

كان الفرع الكانوبى فى العصور الخالية أهم فروع النيل السبعة(١) القديمة (انظر الخريطة رقم ١) حتى أن أرسطو

---

(١) — فروع النيل السبعة القديمة هي : البيلوزى وهو المنسوب إلى بيلوز أى الفرما . والتانيسى وهو المنسوب إلى تانيس أى صان الحجر . والمنديسى وهو المنسوب إلى منديس أى تل الربع أو إلى تمويس أى تمى الأمديد لمروره بينهما . والفاتيمى نسبة إلى كلمة فاتيم اليونانية أى الوسط لأن هذا الفرع كان يشق وسط الدلتا . والسبنيتي وهو المنسوب إلى سبينيتوس أى سمنود . والبولبتينى وهو المنسوب إلى بولبتين أى رشيد . والكانوبى وهو المنسوب إلى كانوب أى أبى قير .

الفيلسوف اليونانى الذائع الصيت الذى عاش من سنة ٣٨٤ إلى سنة ٣٢٢ ق . م ـ وكان أستاذاً وصديقاً للاسكندر الاكبر ـ قال : « إن هذا الفرع وحده هو المجرى الطبيعى وإن ما سواه من الفروع الأخرى حفرتها يد البشر ابتغاء تجفيف أراضى الدلتا » .

وكان مبدأ هذا الفرع من رأس الدلتا القديم فى الطرف الجنوبى من جزيرة الوراق التى يتكون عندها نقطة انفصال الفرع البيلوزى الممتد إلى بيلوز أى الفرما عن الفرع الكانوبى الممتد إلى كانوب أى أبى قير . وهذان الفرعان كانت تنحصر بينهما الدلتا قديماً .

ويسير الفرع الكانوبى بعد خروجه من رأس الدلتا فى مجرى فرع رشيد الحالى الى قرية زاوية البحر (الرافقة) التابعة لمركز كوم حمادة من مديرية البحيرة . وفى هذه النقطة يكوّن هذا الفرع كوعاً أى زاوية ويتجه إلى الشمال الغربى . ويحتمل كثيراً أن قرية زاوية البحر إنما سميت كذلك لهذا السبب ومن المحقق أن القسم المتجه هذا الاتجاه من الفرع الكانوبى وجد قبل الفتح الاسلامى غير أن اسمه القديم عرّب فى الزمن الذى حدث فيه هذا الفتح . ألا ترى مثلا أن ناحية بيلوز التى معناها باللغة اليونانية الطين تسمى فى أيامنا هذه : الطينة .

ومن قرية زاوية البحر يسير الفرع المذكور فى مجرى ترعة أبى دياب فى اتجاه الشمال الغربى ويمر غرب كوم جميف الذى كان يسمى في القرون الماضية نقراطس وهى مدينة كان قد تنازل عنها للاغريق أمازيس خامس ملوك الفراعنة وأحد الأسرة السادسة والعشرين (سنة ٥٦٨ ـ ٥٢٥ ق . م) فى مقابل الخدم التى أدوها له فاستغلوها زمنا طويلا ودرت عليهم خيرا جزيلا . وبعد ذلك يستمر الفرع سائراً إلى أن يصل إلى قرية جنباواى . ومنها يمتد مجراه ماراً بجانب قرية الموجه وبعد ذلك يمر قرب قرية دسونس أم دينار وقراقص ويصل إلى دمنهور (هيرموبوليس بارفا) التى قال عنها استرابون وهو من أهل القرن الأول الميلادى إنها بنيت على نفس النهر .

وبعد دمنهور يسير الفرع الكانوبى فى مجرى ترعة دمنهور القديمة المبينة بخريطة علماء الحملة الفرنسية والتى يشغل موضعها فى الوقت الحاضر الطريق الزراعى بين دمنهور والعطف ويستمر في سيره إلى أن يتصل بترعة الأشرفية بجوار قرية أفلاقة .

ومن هناك يسير الفرع المذكور إلى الكريون وشديا (النشو البحرى) التابعة لمركز كفر الدوار أى إلى مبدأ خليج

الاسكندرية القديم .

وبعد شديا يتتبع الفـــرع الكانوبى جانب ترعة الادكاوية القديمة المسماة الآن الترعة الكانوبية (انظر الخريطة رقم ٤) تاركا كوم مازن على يمينه . ثم يسير عنـــدئذ متتبعاً مرتفع الارض الصغير الفاصل بحيرة أبى قير عن بحيرة ادكو . ولا ريب أن هذا المرتفع هـو محل الفرع القـــديم الذى كانت ضفافه كما هي الحال الآن مرتفعة بلاشك ارتفاعا قليـلا عن سطح الارض بحكم فعل الطمى . وبعد ذلك يمر بين كوم الذهب وكـوم الطرفاية ويبلغ البحر عند الكوم الأحمـــر الواقع على سكة رشيد والمسمى الآن بالطابيـة الحمـــراء نسبة إلى الحصن الذى بنى فوقـه (انظر الخريطة رقم ٣) .

والفـرع الكانوبى كان لا يقف عند هـــذه النقطة بل يمتـد فوق ذلك ستة كيلومترات فى خليج أبى قـــير حسبما ذكر محمـــود باشا الفلكي بالصفحة ٧٩ من مذكرته الفرنسية عن مدينة الاسكندرية فى الأزمان الغابرة . وإليك ترجمة ما قاله :

« إن سبر غور الماء الذى قام به مسيو لاروس Larousse قبيل عام ١٨٥٩ م فى مرفأ أبى قير لا يترك مجالا للشك فى أن موقـع مصب الفرع الكانوبى كان فى سفح تل الكوم الاحمر .

فجـــرى مصب النهـر يرى فى الواقع جيـــداً في قاع ماء المرفأ وظاهـــراً بين رأسين . وهذان الرأسان المتدان من الكوم الاحمر الى أن يقتربا من جزيرة أبى قـــير على مسافة زهاء ستة كيلومترات من اليابسة فى الوقت الحالى لا يزالان الى الآن يضمان بين جوانبهما مجـــرى المصب على مسافة ستة أو سبعة أمتار تحت سطح الماء بينما لا يزيد عمق هـــذا الماء نفسه فوق الرأسين عن مترين أو ثلاثة أو أربعة .

وقد تكوّن الرأسان المذكوران تحت سطح البحر من طمى النيل بالطبع كما تكوّن الرأسان اللذان نراهما الآن فى كلا المصبين الحاليين اللذين يمتدان فى البحـــر مسافة تزيد على ستة كيلومترات فتكوّن من كليهما بهذه الكيفية رأسان ممتدان بعد رشيد ودمياط .

ولا بد أن رأسى المصب الكانوبى كانا في الأزمان الغابرة فوق مستوى سطح البحر وبالتالى مكونين مع الساحل لغاية رأس أبى قير شبه ميناء لمدينة كانوب » . ا هـ

ومسيو لاروس الذى ذكره هنا محمود باشا الفلـــكى كان مهندساً تابعاً لشركة قناة السويس وقد كلفـــه الوالى سعيد باشا أن يسبر غـــور خليج أبى قير . والأبحاث التى قمنـــا بها

بنفسنا فى مايو سنة ١٩٣٣ في الخليج المذكور ، والأطلال التى عايناها أيدت صحة ما ذكره لاروس تأييداً تاماً . وتأكدنا فوق ذلك أن سطح هذا الخليج كان فى الأزمنة الخالية فوق مستوى سطح البحر .

تاريخ خليج الاسكندرية

لما أنشأ الاسكندر الأكبر مدينة الاسكندرية كان عليه بادئ بدء أن يفكر بالطبع فى ايجاد وسيلة لتزويد المدينة الجديدة بالماء . لأن الماء القليل الذى يحصل عليه أهالى ضيعة ريكوتيس(١) من المطر والآبار لا يمكن أن يكفى حاجة سكان مدينة لها أهمية المدينة التي عزم هذا الفاتح الكبير على انشائها فكان من المحتم أن يوجه الفكر إلى ينبوع آخر ماؤه أكثر غزارة . وهذا الينبوع لا يمكن أن يوجد إلا فى البحر الكبير أى النيل . وكان فرع هذا النهر الأقرب إلى موقع المدينة الجديدة هو الفرع الكانوبى (انظر الخريطة رقم ٣) . وإلى هذا الفرع اتجه النظر للحصول على الماء من مدينة شيديا ـ النشو البحرى ـ لأن المسافة التى بينها وبين المدينة التى عقد العزم على تشييدها أقصر منها بين هذه وأى موقع

(١) ـ كانت فى موضع كوم الشقافة الآن .

آخر . وعلى هذا حفرت من شيديا إلى الاسكندرية أول ترعة للاسكندرية فى فترة انشائها وذلك في عام ٣٣١ ق . م ورأس هذه الترعة القديم وفمها لا يزالان إلى اليوم بالحالة التي كانا عليها فى عصر إقامتها على ترعة الناصرى القديمة التى تمثل مجرى الفرع الكانوبى مصغراً عن شكله القديم .

الفرع البولبتينى

يتفرع الفرع البولبتينى من الفرع الكانوبى عند زاوية البحر ويسير متتبعا فى سيره فرع رشيد الحالى إلى أن يبلغ البحر . أما اسمه هذا فقد استعير من مدينة بولبتين وهى مدينة رشيد الحالية .

وهذا الفرع لم يكن فى عصر هيرودوت سنة ٤٥٠ ق.م سوى ترعة حفرتها يد البشر كما ذكر هذا المؤرخ (انظر الخريطة رقم ١) . وقد ورد ذكره بأنه فرع فى زمن استرابون فقط أى فى القرن الأول الميلادى . ولما كان هذا الفرع أكثر انحداراً واستقامة فى مجراه فقد اكتسب بالتدريج مع مرور السنين والأيام لسرعة جريان الماء فى النهر من الأهمية ما جعل الفرع الكانوبى يفقد أهميته فتضاءلت أهمية جزئه الممتد من زاوية البحر الى البحر حتى صار هذا الجزء عبارة عن ترعة لا أكثر .

وبهذا صار البولبتينى فرعا وأصبح الكانوبى ترعة وسنشرح ذلك فيما بعد .

تطورات ترعة الاسكندرية

لما ابتلع الفرع البولبتيني شيئا فشيئا الجزء العلوى من الفرع الكانوبى من زاوية البحر إلى رأس الدلتا للأسباب التى سبق ايضاحها ـ وذلك ليكوّن فرع رشيد الحالى ـ انحط بالتدريج الجزء السفلى من الفرع الكانوبى من زاوية البحر الى خليج أبى قير حتى صار ترعة لاغير . ومن الواضح ان هذا التطور لم يتم طفرة بل ببطء وتدريج .

ومن العسير معرفة الوقت الذى ابتدأ فيه انحطاط هذا الفرع الذى كان أهم فروع النيل . غير أنه من رأينا أن ذلك لا بد أن يكون قد حدث قبيل القرن الخامس الميلادى لأن اميان مارسلان Amien Marcellin الذى زار مصر فى النصف الثانى من القرن الرابع الميلادى ذكر الفرع الكانوبى بهذه الحالة كما ذكر مصبه .

أما هذا الانقلاب بقضه وقضيضه فلا بد أن يكون قد تم قبيل القرن السادس الميلادى أى قبل فتح العرب

لمصر . والدليل على هذا أنه لم يذكر ذلك مؤرخ من مؤرخى العرب حتى المتقدمين منهم بل لم ينوه أحد منهم بذكره أيضا . وعلى ذلك يكون هذا الفرع قد زال واختفى من الوجود بهذه الكيفية فى القرن الخامس الميلادى .

وبعد أن أضحى هذا التطور أمرا مقضيا صار الجزء الممتد من زاوية البحر الى الكريون ترعة يتفرع منها فرعان : أولهما يشغل مجرى الفرع الكانوبى القديم (الترعة الكانوبية الآن) يذهب الى خليج أبى قير . والثانى : يبدأ من شديا ويذهب الى الاسكندرية وهو خليج الاسكندرية . وقد توارى أولهما عن الأعين وزال سريعا وذلك أيضا قبل الفتح الاسلامى كما يؤخذ من بيان جان Jean أسقف نيكيو[١] Nikiou فى تاريخه الاستقرائى ومن بيانات مؤرخى العرب وذلك لأمرين :

١ — ان الفرع المتجه الى الاسكندرية كان عليه تموين مدينة لها تلك الأهمية لذا كان دائما أبدا موضع عناية كبرى الأمر الذى ساعد على جر المياه نحوه .

٢ — أما الفرع المتجه الى خليج أبى قير فقد كان يمر بمنطقة قاحلة أو على أكثر تقدير ذات محصول زهيد

(١) — الآن تعرف بزاوية رزين بمديرية المنوفية .

فأهمـــل وجف بسبب تحول الماء جميعه الى الفرع الآخر . ولذا اختفى وتوارى على عجل أو انحط وصار ترعة لا أهمية ولا قيمة لها البتة لأننا لم نر أحدا تكلم عنه .

وهذه الحالة هى التى دعت أولا جان أسقف نيكيو فى القرن الأول الهجـــرى — القرن السادس الميلادى — ومن بعده ابن عبد الحكم فى القرن الثالث الهجرى — القرن التاسع الميلادى — وغيره من مؤرخى العرب الذين نقـــلوا جميعا عنه الى القـــول بأن الملـــكة كليوبطره هى التى ساقت خليج الاسكندرية حتى أدخلته اليها ولم يكن يبلغهـــا الماء كان يعدل من قرية يقال لها كسا قبالة الكريون فحفرته حتى أدخلته الاسكندرية .

ومن الجلى أن هـــذه الرواية ليس لها نصيب من الصحة لأن كليوبطرة ليست هى التى أنشأت هـذا الخليج . غير أن الانسان لو فحصها فحصا دقيقا صارفا النظر عن مسألة كليوبطرة لتبين له أنها لاتخلو من شىء ترتكز عليه.

ذلك أن الفرع الممتد من الكريون الى الاسكندرية ظل باقيا وظلت سيرته كذلك باقيـــة تتداولها الألسن ونحواها أن هـــذا الفرع حفر ليـــوصل الى الاسكندرية مياه

الكريون وذلك من الفرع الكانوبى . أما فرع الكريون الممتد الى خليج أبى قير فكان قد زال وزالت من الوجود أيضا سيرته .

وبما أن هؤلاء المؤرخين لم يروا قدام أعينهم شيئا ثابتا يعتمدون عليه سوى مياه النيل ووقوفها عند الكريون وسمعوا أيضا الرواية المتداولة فى البلد من أن الجزء الذى بين الكريون والاسكندرية حفرته يد البشر لجلب المياه الى الاسكندرية فهذا هو الذى سوغ لهم أن يظنوا أن المياه لم يسبق أن جرت فى مجرى آخر .

ولما كان من الثابت أيضا أن الجزء الواقع بين زاوية البحر والكريون يفوق الجزء الواقع بين الكريون والاسكندرية أهمية كما ذكر المسعودى فيما يلى فقد ساعد ذلك كثيرا على تمسكهم بهذه النظرية .

قال المسعودى :—

« وقد كان النيل انقطع عن بلاد الاسكندرية قبل سنة ٣٣٢ ﻫ (٩٤٣ م) وقد كان الاسكندر بنى الاسكندرية على هذا الخليج من النيل وكان عليها معظم ماء النيل فكان يسقى الاسكندرية وبلاد مريوط وكانت بلاد مريوط فى نهاية

العمارة والجنان المتصلة بأرض برقة وكانت السفن تجرى فى النيل وتتصل بأسواق الاسكندرية . وقد بلط أرض خليجها فى المدينة بالاحجار والمرمر وانقطع الماء عنها لعوارض سدت خليجها ومنعت الناس دخوله فصار شربهم من الآبار وصار النيل على يوم منهم » . اهـ

ومسافة اليوم التى ذكرها المسعودى هى عبارة عن المسافة من الاسكندرية الى الكريون أى طول ترعة شيديا القديمة بينما الفرع الذى يوصل الماء الى الكريون كان أثراً للفرع الكانوبى القديم . ويعلم لنا مما قاله المسعودى أن الجزء الثانى فى ذلك الحين كان أيضا يفوق الأول أهمية إذ أنه كان يوصل المياه الى الجزء الآخر .

أما عزو إنشاء هذه الترعة الى كليوبطره فهذا أمر يشق علينا أن نجد له تفسيراً يتقبله العقل فهو غلطة فادحة فى التاريخ فالذى حفرها إنما هو الاسكندر الأكبر عند إنشائه مدينة الاسكندرية .

ومجمل القول أن ترعة الاسكندرية كانت لدى الفتح العربى تمر بهذه النواحى وهى : زاوية البحر والنقيدى ودنشال

ودمنهور وأفلاقه وكفر الحمايدة والكريون والاسكندرية (انظر الخريطة رقم ٤) .

وقد روى مؤرخو العرب أن هذه الترعة حفرت أو طهرت ست مرات فى أزمنة متباينة بالكيفية الآتية :—

ففى المرة الأولى قام بذلك الحارث بن مسكين قاضى مصر وذلك فى سنة ٢٤٥ ﻫ (٨٥٩ م) .

وفى المرة الثانية أحمد بن طولون حاكم مصر فى سنة ٢٥٩ ﻫ (٨٧٢ م) .

وفى المرة الثالثة الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله وذلك فى سنة ٤٠٤ ﻫ (١٠١٣ م) .

وفى المرة الرابعة السلطان الظاهر بيبرس وذلك فى سنة ٦٦٤ ﻫ (١٢٦٥ م) .

وفى المرة السادسة السلطان الأشرف بارسباى وذلك فى سنة ٨٢٦ ﻫ (١٤٣٢ م) .

وفيما خلا هذه المرات الست دعت الحالة الى حفر أو تطهير الترعة المذكورة وذلك فى أوقات أخرى أغفل المؤرخون

التحدث عنها فالقسم من شابور الى النقيدى حفر فى تاريخ غير التواريخ التى ذكرناها وقد حفره شخص ظل مجهولا .

وزيادة في الايضاح نرى أنفسنا مضطرين أن نقسم الترعة الى ثلاثة أقسام وهى :

القسم الأول — من النيل الى كفر الحمايدة .

القسم الثانى — من كفر الحمايدة الى الكريون .

القسم الثالث — من الكريون الى الاسكندرية .

وقد قلنا القسم الأول من النيل الى كفر الحمايدة لأنه هو الذى توالى على موقعه التغيير والتبديل . فاستبدلت نقطة مصدره من النيل مرارا وتكرارا ومن هنا نشأت استحالة تعيين موضع ثابت له .

أما القسمان الآخران فانهما مع عدم تبدل موضعهما نرانا مضطرين الى فصلهما عن بعضهما لأن كليهما كان تابعا لمجرى يختلف عن الآخر . فأولهما كان تابعا للفرع الكانوبى وثانيهما لترعة الاسكندرية الأولى أى خليج الاسكندرية .

وها نحن أولاء نبين أحوال الأقسام الثلاثة والمواضع

الخاصة بها :—

القسم الأول : من النيل الى كفر الحمايدة

لقد تغير موضع هـذا القسم خمس مرات والمراحل التى كان يمر بها كانت كالآتى مرتبة حسب توالى الأزمان :—

أولا — الرافقة أو زاوية البحر والنقيـدى ودنشال وقرطسا أو دمنهور وأفلاقة وكفر الحمايدة .

ثانيا — شابور والنقيدى ودنشال وقرطسا أو دمنهور وأفلاقة وكفر الحمايدة .

ثالثا — منيـة أبيـج أو الضهرية وأبو منجوج ومحـلة فرنوى ومحـلة نصر ومسروق وقرطسا أو دمنهـور وأفلاقـة وكفر الحمايدة .

رابعا — العطف وكفر الحمايدة .

خامسا — الرحمانية وأفلاقة وكفر الحمايدة .

والآن نشرع فى بيان الأزمنة المختلفة التى وجدت فيها هذه المراحل والاشخاص الذين قاموا بتطهيرها أو حفرها :—

أولا — المسافة من الرافقة الى كفر الحمايدة — هذه المرحلة هى التى كانت فى فترة الفتح الاسلامى وقد قص علينا خبرها المؤرخون القدماء . وآخر من ذكر الرافقة كنقطة تحويل الترعة من النهر هو قدامة بن جعفر المتوفى سنة ٣١٠ هـ (٩٢٢ م) فى كتابه « الخراج وصنعة الكتابة » وذكرها بعده مؤرخ آخر هو المقدسى المتوفى سنة ٣٨٠ هـ (٩٩٠ م) فى كتابه « أحسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم » . ولكن فى هذه المرة لم تذكر كنقطة تحويل الترعة من النهر لأن هذه النقطة - كما يرى فيما بعد - كانت انحدرت فى تلك الفترة الى شابور . فذكرها المقدسى فى كتابه المذكور فى رحلته من الفسطاط الى الاسكندرية . وبعد المقدسى توارت هذه المدينة واختفت عن الأنظار ولم يعد يذكرها بعد مؤرخ ما .

وقد كان قدامة كما ذكرنا سابقا آخر مؤرخ ذكر الرافقة كنقطة تحويل الترعة من النهر ولا بد ان هذه الحالة هى التى ظلت ثابتة لغاية تاريخ وفاته فى سنة ٣١٠ هـ (٩٢٢ م) ولننظر الآن مع مراعاة ترتيب التواريخ التى ذكرها المؤرخون من هم الاشخاص الذين باشروا تطهير هذه المرحلة .

إنه بحسب التواريخ التى ذكرناها قبلا نجد أن الحارث بن مسكين هو الذى قام بعملية تطهيرها أولا وذلك فى سنة ٢٤٥ هـ

(٨٥٩ م) وأحمد بن طولون ثانيا وذلك فى سنة ٢٥٩ ﻫ (٨٧٢ م) إذ هما وحدهما اللذان ذكرا قبل وفاة قدامة .

ثانيا — المرحلة من شابور إلى كفر الحمايدة — هذه المرحلة مماثلة للمرحلة التى أتينا توا على ذكرها غير أن جزء الرافقة النقيدى استبدل بجزء شابور النقيدى . وأول مؤرخ ذكر هذا التخطيط ابن حوقل المتوفى سنة ٣٥٠ ﻫ (٩٦١ م) « فى كتابه المسالك والممالك » فيكون هذا الجزء قد تم انجازه بين هذا التاريخ وتاريخ وفاة قدامة فى سنة ٣١٠ ﻫ (٩٢٢ م) ولم ينقل لنا التاريخ أى تطهير أو حفر بين هذين التاريخين . وبذا يكون انجاز هذا القسم قد تم بمباشرة شخص وفى تاريخ ظل كلاهما مجهولا . وذكر الشريف الادريسى المتوفى سنة ٥٤٨ ﻫ (١١٥٣ م) فى كتابه « نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق » أيضا هذه المرحلة ولكن اجمالا مع التى بعدها . والظاهر أنهما من ناحية أخرى ظلتا تؤديان وظيفتهما معا كما سيذكر بعد .

ثالثا — المرحلة من الضهرية إلى كفر الحمايدة — ان أول مؤرخ تكلم عنها هو الشريف الادريسى المتوفى سنة ٥٤٨ ﻫ (١١٥٣ م) وعلى هذا يكون تم انجازها بين هذا التاريخ وتاريخ وفاة ابن حوقل قبيل سنة ٣٥٠ ﻫ (٩٦١ م) . ويوجد فى هذه الفترة بالتدقيق الحفر أو التطهير الذى باشره الخليفة الفاطمى الحاكم

بأمر الله فى سنة ٤٠٤ هـ (١٠١٣ م) ومن رأينا أن هذا الخليفة هو الذى لا بد أن يكون قد أنجز هذا القسم . وهو من ناحية أخرى لم ينشىء إلا جزءا منه انشاء جديدا كما يتضح ذلك مما يأتى : —

ان مرحلة منية بيبج أو الضهرية لغاية محلة نصر ومسروق تشغل موضع فرع فرنوى بلهيب (العطف) الذى ذكره ابن حوقل والذى لا بد أن يكون قد توارى بعد أن مات هذا المؤرخ لأنه لم يعد يتكلم عنه أحد بعده . ومن هنا نستنبط ان ما حدث فى الوقت الذى أراد فيه الخليفة الفاطمى أن ينجز مشروعه هو ما يأتى :

إن الجزء السفلى من فرع فرنوى الواقع تحت محلة نصر ومسروق لغاية بلهيب (العطف) كان قد اختفى أو كاد . وعلى ذلك اضطر لدى تطهيره الترعة أن يحفر فرعا جديدا مبتدئا من محلة نصر ومسروق ومنتهيا عند ترعة شابور بين دنشال ودمنهور ولعل هذا الفرع يكوّن الجزء السفلى من ترعة الضاهر الحالية . والغرض من هذه العملية فتح باب جديد لتغذية ترعة الاسكندرية . وهذه الحالة هى التى دعت الادريسى لأن يقول ان الترعة الموصلة للاسكندرية تسمى ترعة شابور وان مدخلها كان فى النهر تحت أبيج .

وقد ذكر المقريزى أنه انفق فى هـذه العملية ١٥٠٠٠ دينـــار أى ما يساوى ٩٠٠٠ جنيه .

ونحن نثبت فيما يلى تخطيط هـــذا الفرع عن المؤرخين الآتى ذكرهم وهم :—

(١) — قال أبو الحسن المخـزومى(١) أحد قضاة مصر فى كتاب المنهاج وقـد عاش قبيل سنة ٥٨٠ ﻫ (١١٨٤ م) أى فى نفس العصر الذى كان فيه الادريسى : « أما خليج الاسكندرية فانه من فوهة الخليج الى ترعة بُودُرّة (أبودُرّة) ليس على شىء منها سد . بومنجوج (أبو منجوج) . محلة بتوك (أبتوك) . أسينة (اسمانيـــة) . أورين . محلة فرنوى . محلة حسن . منية طراد وتعرف بالقاعة . محلتا نصر ومسروق » . ا ﻫ

وهذا المجرى هو بعينه فرع فرنوى الذى ذكره ابن حـوقل لغاية هذه القرية الأخيرة ومجرى ترعة الضاهر الحالية .

(٢) — ذكر القلقشندى المتـوفى عام ٨٢١ ﻫ (١٤١٨ م) فى كتابه « صبح الأعشى » أنه فى الأزمان الغابرة كان مدخل خليج الاسكندرية بالظاهرية وانه كان يمر بدمنهور . وهـذا هو بالضبط مجرى هذه المرحلة .

---

(١) ـ خطط المقريزى ج ١ ص ٢٧٤ طبعة مصر .

واتحاد وجهة أعمال هذه المرحلة مع التي قبلها لم يؤيده الادريسي فحسب ـ كما سبق القول ـ بل أيدته أيضا الأعمال التي أمر السلطان الظاهر بيبرس بمباشرتها في المرحلتين وذلك في سنة ٦٦٢ و ٦٦٤ هـ (١٢٦٣ و ١٢٦٥ م) .

أما المرحلة السالفة فيلوح ان هذا السلطان لم يفعل شيئا سوى ان طهر الجزء الواقع بين شابور والنقيدي بينما يقول المقريزي انه طهر بين أعمال اخرى الترعة بين النقيدي وفمها وبالتالي القسم الواقع تماما بين هذه القرية الأخيرة وشابور وهي التي طهرها السلطان الظاهر بيبرس .

ورب سائل يسأل هل تم تطهير جزء المرحلة الواقع بين النقيدي ونقطة الاتصال بالمرحلة التي ذكرناها . والجواب على ذلك صعب جدا لعدم وجود شيء يمكن الاستناد إليه .

أما آثار الأعمال التي تمت في عهد هذا السلطان فلدينا عنها الأدلة الآتية :—

١ — بعض الأبنية التي أقامها في قرية الضهرية الحالية التي يجب أن يكون حقيقة اسمها الظاهرية والقائمة قرب فمها والتي قال بصددها المرحوم جورجي بك زيدان في كتابه (تاريخ مصر الحديث) ان هذا السلطان هو الذي بناها وكان الأجدر به

أن يقول إنه اطلق عليها اسمـــه بعد أن أقام فيها تلك الأبنية وانها كانت كما ذكر ابن دقمـــاق منشأة قبله بأزمان باسم منية بيبج .

٢ — ترعة الضاهر المسماة باسمـــه فى الوقت الحاضر والتى كان يجب أن تسمى ترعة الظاهر كما هو الحال فى مسجده القائم بالقاهرة هى برهان ساطع على ان هذا السلطان لم يطلق اسمه على هذه الترعة إلا لأنه أجرى بها بعض الأعمال .

وقال ابن مماتى المتـوفى سنة ٦٠٦ هـ (١٢٠٩ م) فى كتابه « قوانين الدواوين » بمناسبة ذكر هذه المرحلة :

« رأيت جماعة من أهل الخـــبرة وذوى المعرفة يقولون انه إذا عملت من قبـــالة منية بيبج الى بيبج زلاقة مثـــل زلاقة أختويه (ويقيننا أنه يقصد بذلك عمـــل سد) استمر الماء جاريا فيـــه (أى خليـج الاسكندرية) الى الاسكندرية صيفا وشتاء ورويت البحـــيرة جميعها وحـوف رمسيس والكفور الشاسعة وزرع عليـــه القصب والقلقاس والنيلة وأنواع زراعـــة الصيفى وجـرى مجرى بحـــر الشرق والمحلة وتضاعف عبر البـلاد وعظم ارتفاعها وان الآن إقامة هذه الزلاقة ممكنة وأسباب عمارتها ميسرة لوجـود الحجارة فى الربوة والطـوب فى البحـــيرة وانهم

قدروا ما يحتاجون إليه برسم ذلك فوجدوا فيه ما يناهز عشرة آلاف دينار (٦٠٠٠ جنيه) » . اه

ويلوح ان السدود كانت تقام على النيل فى الأزمان الغابرة بنفقة أقل منها فى أيامنا هذه .

ويقول هذا المؤرخ عينه ان طول خليج الاسكندرية فى عصره كان يبلغ من فمه ٣٠٦٣٠ قصبة والقصبة المقصودة هنا هى القصبة الحاكمية التى طولها ٣ر٨٥ من الأمتار . فيكون طول الخليج ما يقرب من ١١٨ كيلومترا . وامتداد هذه المرحلة الآن لغاية الاسكندرية حسبما هو مرسوم على خريطة مصلحة المساحة ١١١ كيلومترا .

وعلى ذلك يكون هذا القسم من الأقسام التى ورد ذكرها فى التاريخ . وان حفره أو تطهيره حدث مرتين اثنتين :

الاولى فى عهد الحاكم بأمر الله وذلك فى سنة ٤٠٤ ه (١٠١٣ م) .

الثانية فى عهد الظاهر بيبرس وذلك فى سنة ٦٦٤ ه (١٢٦٥ م) .

رابعا — المرحلة بين العطف وكفر الحمايدة — قال المقريزى

فى خططه ج ١ ص ٢٧٦ و ٢٧٧ : « ثم تعطل استمرار جريان الماء فيه (أى الخليج) بطول السنة وصار يجف سريعا بعد شهرين أو نحوهما من دخول الماء إليه واحتاج أهل الاسكندرية فى طول السنة الى الشرب من الصهاريج التى يخزن فيها الماء الى أن كانت سنة ٧١٠ هـ (١٣١٠ م) فقدم الأمير بدر الدين بكتوت الخزندارى المعروف بأمير شكار ومتولى الاسكندرية الى قلعة الجبل وحسّن للسلطان الملك الناصر محمد بن قلاون حفره وذكر له ما فى ذلك من المنافع . أولها حمل الغلال وأصناف المتجر الى الاسكندرية فى المراكب وفى ذلك توفير للكلف وزيادة فى مال الديوان . وثانيها عمارة ما على حافتى الخليج من الأراضى بانشاء الضياع والسواقى فينمو الخراج بهذا نموا كثيرا . وثالثها انتفاع الناس به فى عمارة بساتينهم وشرب مائه دائما فأعجب السلطان ذلك وندب الأمير بدر الدين محمد بن كندغدى ابن الوزيرى مع بكتوت لعمله وتقدم الى جميع امراء الدولة باخراج مباشريهم لاحضار رجال النواحى الجارية فى أقطاعاتهم للعمل للحفر وكتب لولاة الأعمال بالوقوف فى العمل فاجتمع من النواحى نحو الاربعين ألف رجل جمعت فى نحو العشرين يوما ووقع العمل فى شهر رجب من السنة المذكوره » . اه

ولم يعين المقريزى المدة التى استغرقها هذا العمل إلا أنه قال :

« وعظمت المشقة فى حفر هـذا الخليج فان الذى تجاوز البحر منه غلب عليه المـاء فصارت الرجال تغطس فيـه وترفع الطين من أسفـله ثم كثر الماء فركبت السواقى حتى نزحتـه الا أن عظم النفع به سهل جميع ذلك فان السفن جرت فيـه طـول السنة واستغنى أهل الاسكندرية عن شرب ماء الصهاريج وبادر الناس للعمارة على جانبى الخليج فلم يمض غـير قليـل حتى استجد عليه ما يزيد على ١٠٠٠٠٠ فدان زرعت بعد ما كانت سباخا وما ينيف على ٦٠٠ ساقيـة برسم القلقاس والنيلة والسمسم وفـوق الاربعين ضيعـة وأزيد من ألف غيط بالاسكندرية وعمـرت منه عـدة بلاد كثيرة وتحـول عالم عظيم الى سكنى ما استجد عليه » . اه

وبعـد انتهاء الاعمال من هذا الخليج سمى الخليج الناصرى نسبة الى السلطان الناصر قلاوون الذى تم حفره فى عهده .

هـذا ومع ان المقريزى صرح فى بيانه الآنف الذكر بأن جانبا من هذا الخليج أو الترعة أنشئ انشاء إلا أنه لم يدلنا على موضـع ذلك الجانب الجـديد الذى أنشئ . اما القلقشندى المعاصر لهـذا السلطان فقد تلافى هذا النقص إذ قال ان مدخل الترعـة فى زمنه كان فى العطف قبال فـوة . وقال الجبرتى

كذلك فى تاريخه « عجائب الآثار فى التراجم والأخبار » ان والى مصر محمد على أجرى حفر ترعة المحمودية فى موضع ترعة الناصرى القديمة ابتداء من العطف . مرجحا هذا الموضع على موضع الأشرفية الذى يبتدىء فى الرحمانية لقصره .

ويلوح ان الأعمال التى باشرها هذا السلطان تعد أعظم أهمية من التى ذكرها مؤرخو العرب بصدد هذا الخليج

خامسا — المرحلة من الرحمانية الى كفر الحمايدة —

لقد وصلنا الآن الى آخر تغيير حدث فى محل هذا القسم والى المرة الوحيدة التى فيها تقهقرت نقطة تحويل النهر من الشمال الى الجنوب . ومن هذه النقطة صارت تؤدى الأعمال لغاية الوقت الذى جدد فيه محمد على جريان هذه الترعة وأرجعها الى العطف مرة أخرى .

قال المقريزى فى خططه ج ١ ص ٢٧٨ :

« ولم يزل الخليج فيه الماء طول السنة الى ما بعد سنة ٧٧٠ هـ (١٣٦٨ م) فانقطع الماء منه وصار الماء لا يدخل إليه إلا فى أيام زيادة ماء النيل فقط ثم يجف عند نقصه فتلف من أجل هذا أكثر بساتين الاسكندرية وخربت وتلاشى كثير

من القرى التى كانت على هـذا الخليج ـ الى أن قال ـ وقصد من أدركناه من ملوك مصر حفر هـذا الخليج غير مرة فلم يتهيأ له ذلك الى أن كانت سلطنة الملك الأشرف برسباى فندب لحفره الأمـير جرباش الكريمى المعروف بعاشق فتوجه إليه وجمـع له من قدر عليه من رجال النواحى فبلغت عدتهم ثمانمـائة وخمسة وسبعين (٨٧٥) رجـلا ابتدءوا فى حفره من ١١ جمادى الاولى سنة ٨٢٦ هـ (٢٢ أبريل سنة ١٤٢٣ م) الى ١١ شعبان (٢٠ يوليه) لـتمام ٩٠ يوما فانتهى عملهم ومشى المـاء فى الخليج حتى انتهى الى حده من مدينة الاسكندرية وجرت فيه السفن فسر الناس به سرورا كبيرا وجبى ما انفـق على العمال فى الحفر من أرباب النواحى التى على الخليج ومن أرباب البساتين بالاسكندرية » . اه

ويبـدو جليا ان عدد الرجال الذى ذكره المقريزى فى عبارته السابقة لا يتفق قاطبـة مع أهميـة العمل الواجب تأديته فى حفر هـذا الخليج ولذا لا يحتمل قبـوله الا مع التحفظ الشديد .

وبعد أن تمت أعمال هـذا الحفر سميت الترعة فى قسمها الجديد باسم الاشرفية تيمنا باسم السلطان الأشرف المذكور . وقد ظل هـذا الاسم الى الآن علما على هـذا الجزء من

الترعة القديمة .

وزاد المقريزى على كلامه السابق فقال : فلم يستمر ذلك إلا قليلا حتى انطم (أى الخليج) بالرمل وتعذر سلوك الخليج بالمراكب إلا فى أيام النيل فقط . اه

وظلت الترعة على هذه الحال الى الوقت الذى باشر فيه الوالى محمد على أعمال الحفر فيها وذلك فى سنة ١٢٣٤ ﻫ (١٨١٨ م) .

ونحن نجمل لك فيما يلى المراحل التى مرت على حفر هذه الترعة منذ الفتح العربى الى الزمن الذى أجرى فيه الوالى محمد على أعمال الحفر فيها مع بيان مددها :—

(١) — المرحلة الاولى . من الرافقة الى كفر الحمايدة وذلك من وقت الفتح العربى فى سنة ٢٠ ﻫ (٦٤١ م) الى سنة ٣٣٠ ﻫ (٩٤٢ م) أى ٣٠١ سنة .

(٢) — المرحلة الثانية . من شابور الى كفر الحمايدة — وذلك من سنة ٣٣٠ ﻫ (٩٤٢ م) الى سنة ٤٠٤ ﻫ (١٠١٣ م) أى ٧١ سنة .

(٣) — المرحلة الثالثة . من الظاهرية الى كفر الحمايدة —

وذلك من سنة ٤٠٤ هـ (١٠١٣ م) الى سنة ٧١٠ هـ (١٣١٠ م) أى ٢٩٧ سنة .

(٤) — المرحلة الرابعة . من المطف الى كفر الحمايدة — وذلك من سنة ٧١٠ هـ (١٣١٠ م) الى سنة ٨٢٦ هـ (١٤٢٢ م) أى ١١٢ سنة .

(٥) — المرحلة الخامسة . من الرحمانية الى كفر الحمايدة — وذلك من سنة ٨٢٦ هـ (١٤٢٢ م) الى سنة ١٢٣٢ هـ (١٨١٦ م) أى ٣٩٤ سنة .

ومما ينبغى ملاحظته أنه كان كلما انتقلت مرحلة من موضعها لا تتوارى الاخرى عن الأعين بل يبطل فقط استعمالها كطريق نهرى أو مجرى مياه موصل للاسكندرية ويقصر استخدامها على القيام بحاجات الناحية التى تمر منها . وعلى هذا لما كانت المرحلة من شابور الى أفلاقة توصل الماء الى الاسكندرية كانت المياه تجرى متجهة من القرية الاولى الى الثانية . ثم لما انتقلت مرحلة الاسكندرية هذه من هذه الترعة رأيناها انقسمت الى قسمين : فالقسم من شابور الى دمنهور يوصل الماء الى هذه المدينة الأخيرة أى بنفس الاتجاه الذى كانت تتجه قبلا . بينما القسم الآخر تكوّنت منه ترعة

جديدة سميت ترعـــة دمنهور تسير فيها المياه فى اتجاه معاكس لسيرها فى ترعة الاسكندرية الجـــديدة من أفلاقة الى دمنهور . ومن ناحية أخرى فان ترع هـــذه المراحل كلها ظلت باقيـــة إلى أيامنا هذه .

القسم الثانى : من كفر الحمايدة الى الكريون

ان هـــذا القسم لم ينقل البتة من موضعه منـــذ أقدم العصور الى أيامنا هـذه أى من وقتما وجـد الفرع الكانوبى الذى فى مجراه محل هـذا القسم . وهـذا المجرى هو أقدم المجارى التى شاهدتها مصر . وهو يتقـابل الآن مع جانب من ترعـــة المحمودية فى بعض جهاتهـــا . ولكن الجزء الأكبر من هـذا القسم ظل منعزلا عن هـــذه الترعة وقت أن أجرى حفرهـا الوالى محمـــد على . والقسم الذى لم يدخـــل فيها ظـل دائما ابدا بهيئـة ترعـــة صغيرة مسماة باسم الناصرى ولقـــد يشعر الانسان بشىء كثير من الأسف عنـــدما يرى هـذه الترعـة الصغيرة ويتذكر انها تمثـل الفرع الكانوبى العظيم الشأن والذى كان أكبر أفرع النيل جميعها .

القسم الثالث : من الكريون الى الاسكندرية

هذا القسم يشغل موضع ترعة شديا القديمة برمته التى استعيض

عنها بترعة المحمودية الحالية عدا موضعين :

الأول :— الكيلومتر الأول بعد الكربون الواقع شمال المحمودية .

الثانى :— المسافة بين حديقة النزهة وملك أفيروف بين كيلو ٦٩ وكيلو ٧١ وهنا مجرى الترعة القديم واقع جنوب المحمودية .

* * *

مذكرات ونبذ لبعض المهندسين وغيرهم عن ترعة الاسكندرية

(١) — مذكرة لانكريه وشابرول .

وضع مسيو لانكريه Lancret ومسيو شابرول Chabrol من مهندسى القناطر والجسور ومن علماء الحملة الفرنسية على مصر مذكرة عن ترعة الاسكندرية نشرت بالمجلد الثانى من كتاب : « وصف مصر » لعلماء هذه الحملة طبع باريس سنة ١٨١٣ من ص ١٨٥ الى ص ١٩٥ وإليك ترجمة هذه المذكرة : —

« انه لدى الاقتراب من الرحمانية ينقسم فرع رشيد الى قسمين رأسيين يتكون منهما سلسلة جزر يبلغ طولها من ١٥٠٠ الى ١٨٠٠ متر . وأهم الفرعين هو الفرع الشرقى . وهذا الفرع يبقى صالحا للملاحة طول السنة . أما الآخر فقد كان الماء يظل يجرى به مدى السنة ـ على قول الأهالى ـ الى ما قبل اثنى عشر عاما لا أكثر . ومن بعد ذلك امتلأ بالردم لدرجة أن صار يجف من ثمانية الى تسعة شهور فى

السنة . وعلى شواطىء هـــذا الفرع تقـوم قرية الرحمـــانية . وعلى فرع النيل هــذا تقع أيضا فوهـة ترعة الاسكندرية على بعـد ١٢٠٠ متر تحت الرحمانيـة . ويدخل الماء فيها من فوهتين مرتفعتين $\frac{٨}{١٠}$ ٢ مـتر تحت مياه النهر المنخفضة وتبعد الواحـــدة عن الاخرى ٦٠٠ مـــتر . وأقدمها هى الفوهة السفلى . وهـذه تركت وبطـل استعمالها لأن التطهير المتـوالى نجـم عنـــه ارتفـاع جسورها بحيث أضحى من غـير المستطاع وصول الهواء الى أشرعة المراكب . ولذا أقيمت الاخرى منـــذ ٤ سنوات لتحل محلها .

وترعة الاسكندرية فى الفرسخ الأول (٤٠٠٠ مـتر) من مجـــراها تشبه حفرة عرضها من خمسة الى ستة أمتار حفرت لاتصال هـذه الترعـة بفرع رشيد وذلك عنـدما انطم فـــرع الكانوب الذى كان فى العصور الخـوالى المصدر الذى تستمـد منـه هذه الترعـة المياه . ويرى الانسان جزء الفرع الكانوبى القـديم هـــذا على بعد ٢٥٠ مترا من قرية محـلة داود[١] . ولا يفصل هـــذا الفرع عن الترعة فى هـــذه البقعة إلا جسر سمكه ٤ أو ٥ أمتار . وعنـدما يتقدم الانسان بعد هـذه النقطة يرى الترعة تزداد فى الاتساع والنظام وتستمر على هـــذه الحالة

(١) ـ وصف هذا الفرع خطأ .

الى أن تبلغ قـــرية سماديس حيث تأخــــذ فى اتساع يبلغ متوسطه ٥٠ مـترا . ويظل هــــذا الاتساع مستمرا الى ما بعد قرية أفلاقة أى مسافة فرسخـين ونصف فرسخ (١٠٠٠٠ مـتر) وذروة ارتفاع جسوره فـوق القاع أكثر من أربعـة أمتار على حــين أن هذا القاع متر واحــــد تحت مستوى الأراضى المجاورة لهـــا . وبهذه القطعة من الترعة كل سمات القـدم . ففيها موانى على شـكل نصف دائرة عرضها ٨٠ مترا . وهــــذه حالة لا تدع مجـــالا للشك فى أن هذا الموضع كان يموج فى الزمن الغابر بأفواج المراكب وكثرة البضائع . وهـذا الموضع هـو الذى وقع عليــــه الاختيار أيضا فى الوقت الحاضر لتكديس محاصيـل مديرية البحيرة والسلع الاخــــرى التى يراد شحنهـــــا للاسكندرية . وهـو من ناحية أخرى واقع من القدم بجـوار مدينـة كبيرة أعنى دمنهور التى حلت على ما يلوح محل مدينـة هيرموبوليس بارفا .

وليس فى الفرسخـين التاليين (٨٠٠٠ مـتر) بعـد ذلك شىء يلفت النظر اللهم إلا بين قـريتى زاوية غـــزال وقـابيـــل حيث تركت الترعة القديمة من زمن يسير وحفرت ترعة أخرى ذات طول مستقيم وعمق منتظم .

وبعـــد قـابيـل يدخل الانسان فى بقعة تختلف كثيرا

عن البقعة التى تقدمتها إذ لم يعد يرى سهلا خصبا تزينه المزارع وقرى عامرة منبثة فى جوانبه بل يقع نظره على مدائن مدمرة وأرض بائرة وخرائب غير مأهولة ومناظر تفوق رهبتها رهبة الصحارى . وربما كان الباعث على ذلك ان هذا المنظر يعيد على الذاكرة حالة ازدهار سابق أدركها العفاء فأمست أثرا بعد عين .

ومتوسط اتساع ترعة الاسكندرية بعد قابيل فى مسافة أربعة فراسخ متتالية (١٦٠٠٠ متر) عشرون مترا . وجسورها فى هذه المسافة تارة تكون مرتفعة ارتفاعا قليلا وطورا يتراوح ارتفاعها بين ٨ و ١٠ أمتار . وهذا الجزء من الترعة أجمل الأجزاء منظرا وأكثرها تناسقا فى العرض والعمق . وفى الفرسخ التالى (٤٠٠٠ متر) أعنى لغاية ليلوها ـ قرية السمرانية ـ تقريبا يحتفظ بنفس هذا الاتساع ونفس هذه المساواة التى كان محتفظا بها قبلا . ولكن السهل الذى يكتنفه يأخذ فى الانحطاط شيئا فشيئا الى ان يصير مستواه فى مستوى قاع الترعة حتى أن هذا القاع يعلوه فى كثير من المواضع ولا يعود الى الانخفاض تحت مستوى السهل إلا عندما يقترب من الاسكندرية بنصف فرسخ (٢٠٠٠ متر) .

وبعد ليلوها (السمرانيـة) مباشرة تتسع الترعة فجأة ويصير

عرضها فى مسافة نصف فرسخ (٢٠٠٠ متر) ١٠٠ و ٢٠٠ بل ٢٥٠ مترا وجسورها لا تكاد ترتفع الى مترين . أما من جهة المتانة فليست على شيء منها حتى ان الماء ليرشح من جوانبها . وبعد ذلك تضيق كثيرا . وعندما تجاوز (قرية البيضاء) يصير عرضها ٥ أمتار فقط . وارتفاع جسورها أكثر من ٧ أمتار والرمال المتحركة تغطيها وتهدد الترعة بأن تطمها طما وتردمها ردما . والترعة فى هذه البقعة تقع على مسافة متوسطة من بحيرة أبى قير قدرها ١٠٠ متر . وبعد ذلك تبتعد عنها . وفى فسحة فرسخ (٤٠٠٠ متر) تشبه فى النظام والمساحة المسافة التى قبل ليلوها (السعرانية) تقريبا وتدنو من البحيرة قبيل طرفها الغربى وتحصرها عن كثب بحيث تصير لا يفصلها عنها إلا جسر من الأحجار سمكه من ٦ الى ٧ أمتار . ويتكون الجسر الذى ناحية السهل من حائط آخر يبعد عن الجسر الأول ٥٠ مترا . وهذه البقعة سميت البوصات بسبب مساحة البوص الواسعة التى ينمو فيها هذا النبات . وهى إحدى بقاع الترعة الأشد انسدادا لأن الأوحال التى نجمت من التطهيرات السنوية كانت دائما تلقى فيها ذات اليمين وذات اليسار داخل نفس الجسور .

ومن نهاية البحيرة تسير الترعة فى أرض تفصلها عن بعضها

غدران مغطاة بقشرة من الملح سمكها يبلغ من ١٠ الى ١٢ سنتيمترا . وتمر بعد ذلك فى وسط غابة من النخل امتدادها نصف فرسخ (٢٠٠٠ متر) تاركة على يمينها عددا كبيرا من الصهاريج بعضها مطبوع بطابع العمارة اليونانية أو الرومانية ولكن اغلبها شوهته الترميمات التى حدثت في الزمن الحديث . ويقع على هذا الجزء القريب من الاسكندرية من ناحية اليمين عدة تلال يتخللها عدد كبير من الدور المدمرة هجرها العرب الذين كانوا آخر من عمرها . وذلك من نحو مائتي أو ثلثمائة سنة . وفى هذه البقعة يوجد عدد كبير من قطع أعمدة الجرانيت وأجزاء أخرى من بقايا صناعة المعمار الاغريقى الذى أنشأ قطر مصر هذا وجمله .

وقاع الترعة على بعد نصف فرسخ (٢٠٠٠ متر) من الاسكندرية منخفض قليلا عن مستوى سطح البحر . لكن ابتداء من هذه النقطة لغاية سور العرب به منحدر عكسى أعنى أنه يرتفع كلما تقدم نحو السور .

وفى النهاية تدور ترعة الاسكندرية بعرض ٢٠ أو ٢٥ مترا حول سفح التل الذى نصب فوقه عمود سفير Sévère « عمود الصوارى » . وبعد ذلك تضيق كثيرا وتمر فى قلب سور العرب وتسير الى حيث تنتهى فى الميناء القديمة وتصب فيها

بشكل مجرور .

والفرق بين ارتفاع مياه النيل فى زمن الفيضان وزمن التحاريق بجانب مدخل ترعة الاسكندرية أربعة أمتار فى السنين العادية . ومتوسط عمقها فى هذه الترعة متى بلغ أقصى حد يكون زهاء متر واحد أو ستة أعشار المتر .

وتظهر زيادة مياه النهر السنوية فى الرحمانية بين ١٠ و ٢٠ يوليه . وقبيل آخر الشهر الذى يليه أى أغسطس تصل الى مدخل ترعة الاسكندرية . وبعد ذلك تستمر شهرا واحدا فى جولتها فى الترعة لأنها تبطىء فى السير بسبب عدم تساوى انحدار قاع الترعة وبالأخص لكثرة اعوجاجها إذ أن امتداد الترعة يبلغ عشرين فرسخا (٨٠٠٠٠ متر) فى حين أن المسافة بين طرفيها لم تكن سوى خمسة عشر فرسخا (٦٠٠٠٠ متر) وعلى ذلك لا تصل المياه الى الاسكندرية إلا قبيل ٢٠ سبتمبر . وبما أن هبوط مياه النيل يكون فى الرحمانية فى ٥ أكتوبر فيتبين من ذلك أن الملاحة لا تمكث فى الترعة إلا ٢٠ أو ٢٥ يوما .

ومتى وصلت المياه الى الاسكندرية تدخل فى أربعة مجار صغيرة سائرة تحت الأرض ومداخلها موزعة على امتداد

نصف فرسخ (٢٠٠٠ متر) من الاسكندرية قبل مصب الترعة . وتسير المياه فى هذه المجارى الصغيرة الى أن تصل الى احواض فترفع منها بواسطة (سواق طارة) بقواديس وتصبها فى مساق صغيرة توزعها فى مختلف الصهاريج بالمدينة . وهذه السواق البالغ عددها ٧٢ ساقية تدار بالخيول والثيران التى توردها مديرية البحيرة سنويا لهذا العمل بطريقة جبرية .

ومن وقت غير بعيد كان عدد الصهاريج المخصصة لخزن الماء ٣٦٠ صهريجا والآن لا يتجاوز عدد هذه الصهاريج ٣٠٨ تقريبا وسينقص عددها سريعا لأنها صنعت من زمن بعيد جدا ولم يعد يحدث فيها أى ترميم من أمد مديد وكان هنالك أيضا عدد أكبر من المساق لتحويل المياه لكن البعض منها انسد والبعض الآخر لم يعد يصل إلا الى بعض البساتين الخاصة .

ولا يغلق البتة مصب الترعة فى الميناء القديمة فى أثناء العمل فى تعبئة الصهاريج لأن المنحدر العكسى الذى سبق الكلام عنه يمنع تسرب كمية جسيمة من الماء من هذا المنفذ والكمية التى تتسرب ينتفع بها فى تموين السفن .

وحالما تكون كافة صهاريج الاسكندرية امتلأت امتلاء

كافيا يسمح لسكان القرى القائمة على ضفاف الترعة بقطع جسورها سواء أكان ذلك لرى الأراضى أم لملء الصهاريج الخاصة بهم . وأهالى القرى الواقعة على ضفة الترعة اليسرى فى قسمها العالى الذين تروى أراضيهم من ترع اخرى ينتظرون بفارغ الصبر هذا الوقت ليقطعوا جسرى ترعة الاسكندرية ليصرفوا فى الحال المياه عن أراضيهم لكى يجففوها فى أقرب وقت . واذا كانت الأهالى تصرف هذه المياه فى الترعة بحكم الاضطرار فهذه المياه ينتفع بها فى الأراضى الواقعة أسفل منها ولم ترتو مطلقا ريا وافيا . ولا تروى بعض أجزاء هذه الأراضى إلا حينما يكون الفيضان عاليا جدا . أما فى الفيضانات العادية فتبقى بورا ويترك الفلاحون مساكنهم ويرحلون للبحث عن أشغال فى المدائن أو فى القرى الكبيرة وينتظرون الوقت الذى فيه يروى النهر حقولهم لكى يعودوا الى مساكنهم .

ومما لا ريب فيه انه ينبغى أن يعزى الرحيل عن ضفاف الترعة الى قلة العناية بحفرها والماء الشحيح الذى يدخلها كل سنة لأن الأرض فيها صالحة للزراعة الى حد كبير . فهى كباقى جميع أرض مصر فى الصلاحية . نعم هى فى الحقيقة مغطاة بطبقة رملية فى بعض المواضع ولكن هذا هو المعلول لا العلة

فى عزلة هذه الجهة .

وفى عهد حكم المماليك كان أحد كشاف حاكم مديرية البحيرة يعسكر على ضفاف الترعة من وقتما تدخل فيها المياه الى الوقت الذى فيه تمتلىء صهاريج الاسكندرية . ومأموريته تنحصر فى منع أعراب الصحراء والفلاحين من احداث قطوع بها . وأن يحدث هو نفسه بها قطوعا عندما تزداد كمية المياه لدرجة يخشى معها حدوث قطع فى بعض أجزاء الجسر . ومن وقتما تكون صهاريج الاسكندرية قد أوشكت على الامتلاء يدخل المدينة ليتحقق من امتلائها . وهذا التحقيق يعمل بناء على طلبه من الحاكم والقاضى والعلماء . وبعد ذلك يملأ إناء من مياه هذه الصاريج ويختم من أولئك الذين أجروا التحقيق ويستعمل هذا الاناء مع الشهادة التى ترفق به فى إقناع حاكم القاهرة بأن الماء صالح وان الصهاريج قد ملئت .

وبعد أن بينّا ماهية ترعة الاسكندرية فى العصر الحاضر والترتيبات المقررة بصدد مائها نشرع الآن فى ذكر بعض أشياء عن حالتها فى العصور القديمة فنبحث فى عجالة ارتباطها بالتجارة والزراعة وأخيرا نتكلم عن الاصلاحات التى لا بد منها والزيادات المفيدة القابلة لها فنقول :—

لم يبق الآن أية ذكرى لترعة كانت توصل مياه النيل من ناحية بحيرة مريوط قبل الاسكندر . ويلوح أن سكان ضيعة راكوتيس (Racotis) والحامية التى كانت ملوك مصر تقيمها فيها كانت تجد الماء الكافى الصالح للشرب فى برك الماء التى كانوا يحفرونها على ساحل البحر . ومن المعروف أن يوليوس قيصر وجيشه عندما كانا محصورين اضطرا أن يشربا الماء من هذا الينبوع الوحيد . وهذا ما حققته التجربة والاختبار .

ولكن إذا كانت شواطىء بحيرة مريوط لم تحرث وتزرع قبل الاسكندر فلا يمكن أن يداخل أى انسان شك فى أن جزءا كبيرا من السهل الواقع بين الاسكندرية ودمنهور رواه قدماء المصريين وحرثوه . ولا زال يوجد الى الآن فى هذا الجزء بعض آثار هيروغليفية الأمر الذى يدل على أنه كان قد أقيم فيه أنصاب . ووجد فى قرية أفلاقة بين آثار أخرى باب طاحونة مزين بثلاثة أحجار منقوشة نقشا متناسبا بديعا . وأهم هذه الأحجار هو الذى انتزعناه يمثل ايزيس جاثما بنسبة ستة أعشار المتر ورأسه مزين بجلد عقاب وقابض بيده على غصن يمثل زهرة النيلوفر . وقطعة الحجر الجيرى هذه غاية فى الصيانة ومنقوشة نقشا بارزا بنفس العناية ونفس التفصيلات اللتين فى حيطان معبد دندرة .

إن الرأى القائل بأن الترعة الحالية هى الترعة التى حفرت فى وقت تأسيس هذه المدينة (أى الاسكندرية) عندما عرض اعتبره الرأى العام صحيحا ورحب به . ونحن نرى ان من واجبنا بحث هذا الموضوع .

لقد علم من شهادة استرابون أنه لدى خروج الانسان من الاسكندرية من باب كانوب يجد على يمينه الترعة المسماة بهذا الاسم تسير بموازاة شاطىء البحر على مسافة يسيرة منه . وهذه الترعة التى كان لها مخرج فى بحيرة مريوط ليس لها بلا شك مخرج من ناحية كانوب الواقعة على شاطىء البحر . ولكن المياه تصل إليها من النيل بواسطة ترعة مصدرها الفرع الكانوبى قرب مدينة شديا الواقعة على مسافة قليلة من فوهة النهر . فما هى الاسباب التى حدت بالمهندس المعمارى دينوقراط Dinocrate أن يحفر ترعة امتدادها ثمانية عشر فرسخا (٧٢٠٠٠ متر) فى حين أنه كان فى استطاعته أن يجر المياه من جوار كانوب بواسطة ترعة امتدادها ستة أو ثمانية فراسخ فقط (٢٤٠٠٠ أو ٣٢٠٠٠ متر) .

لقد كانت ترعة كانوب على وجه التحقيق هى الترعة الوحيدة التى توصل المياه المخصصة للشرب الى الاسكندرية . إذ لو فرض أنه حينما أضحت هذه المدينة أكثر مدن مصر

سكانا لدعت الحالة الى فتح ترع ابتداء من رأس الدلتا لتزداد كمية المياه الصالحة للشرب فى الاسكندرية وهذا يقتضى أيضا التسليم بأن هذه المياه ما كانت تستطيع أن تصل الى الاسكندرية إلا بعد أن تجتمع بمياه ترعتى شديا وكانوب . وبغير ذلك كان من المحتم أن تخترق بحيرة مريوط فيتطرق اليها الفساد بحكم الطبيعة .

وقد يجوز أن يكون جزء الترعة الحالى المحصور بين قرية الكريون والبطاح الملحة التى سبق الكلام عنها بقية إحدى هذه الترع القديمة التى كانت قد أعدت لتنمية كمية المياه فى ترعة كانوب . وهذا الجزء يدور حول موضع بحيرة مريوط القديمة لأن قاعه مرتفع كثيرا عن منسوب السهل . وهكذا يكون على ما يلوح لنا قد عملت ترعة بجوار الماء الملح أعدت لتوصيل المياه اللازمة لحاجات المعيشة .

وكان ـ على ما ذكره استرابون ـ يصب عدد كبير من الترع متفرع من أجزاء النهر العليا . وكانت إحدى هذه الترع تمر بهيرموبوليس بارفا . ولقد بينا فيما سلف أن هذه الترعة كان بها طابع القدم وذلك بجوار هذه المدينة المسماة الآن دمنهور . وعلى هذا نحن لا نرتاب فى انضمام عدة ترع لبعضها ليتكون من مجموعها الترعة الموجودة فى الوقت الحاضر .

وهذا أمر يمكن الاستعانة به لتعليل كثرة التعاريج الغريبة التى بهذه الترعة وتعدد ارتفاع قاعها فى مواضع وانخفاضه فى أخرى . وذلك فى أرض يستطاع فيها جعل امتدادها مستقيما جدا وقاعها فى غاية الاعتدال .

ويحدونا تاريخ ترعة الاسكندرية الى بحث مسألة اخرى لا تخرج عن الموضوع الذى نعالجه الآن :

يؤخذ من قصة حرب يوليوس قيصر بالاسكندرية أن قسما من هذه المدينة كانت تخترقه ترعة . وكان ماء هذه الترعة يستعمل لقضاء حاجة قسم كبير من الشعب لأن ماء الصهاريج كان لا يمكن أن يفى إلا بحاجة فريق الأغنياء وتابعيهم . وكان يظن بعض الناقدين أن هذه الترعة هى نفس الترعة التى تتقابل مع بحيرة مريوط فى ميناء كيبوتوس (الغربية) (Kibotos) وذلك بدون التفات الى أنه حتى لو فرض ان مياه هذه الترعة أمست صالحة للشرب لوفرة عدد ترع النيل التى تصب فيها لصارت بحكم الضرورة ملحة فى الترعة التى توصلها الى البحر . وما دامت هذه الترعة صالحة للملاحة فلا بد انها كانت واسعة .

ومن ناحية أخرى فالعبارة التى أوردها هرتيوس Hirtius

من أهل القرن الأول قبل الميلاد وهـو الذى سمى الترعة التى كانت الأهالى تشرب منها بنهر النيـل لا تنطبق بتاتا على رأى أولئك الذين ظنوها تستمد المياه من بحيرة مريوط . وهـذا ما يحملنا على الاعتقاد بأن المياه التى كان الأهالى يستعملونها تأتى من ترعة كانوب نفسها وهى التى سبق الكلام عنها . وعلاوة على ما ذكر فان هـذا الرأى لا يتعارض مطلقا مع ما قصه هرتيـوس بشأن الموضع الذى كان يوليـوس قيصر محصورا به فى الاسكندرية . فيوليوس قيصر هـذا لم يكن كما هـو معروف صاحب النفـوذ فى الحى الذى تخترقه الترعة المسماة نهر النيل . والترعة التى نتكلم عنها لم تكن فى الواقع ونفس الأمر تمر فى حى القصور الذى كان يمتلكه يوليوس قيصر بل كانت تمر من المدينة بين سورها الجنوبى والشارع المستطيل وتصب من فتحة ضيقة فى الترعة التي تتلاقى مع بحيرة مريوط فى مينا كيبوتوس .

ولقد شوهد فى وصف ترعة الاسكندرية انها لم يعـد يكتنفها الآن فى القسم الأكبر من مجراها إلا أطلال وصحارى مع أنها كانت منـذ ٤٦٠ سنة لا أكثر تتزين وتتحلى بجميع ما فى مصر من أنواع الزخارف والثراء . وإليـك ما رواه عنهـا المؤرخ العربى أبو الفداء الذى كان على قيد الحيـاة

فى ذلك العهد :

« والقمح يجلب لها من البلاد الأجنبية . والحقول التى تحيط بها مجدبة لأن أرضها مشوبة بالملح[١] » . اه

ويقول بالشرح المسطر على الهامش :

« الاسكندرية واقعة على جزيرة رملية كونها البحر وترعة الاسكندرية . وهذه الجزيرة على امتداد يسير أقل من نهار مغروسة كروما ومزينة بالبساتين ومع أن ارضها لم تكن مكونة إلا من رمال فالعين لا تستنكف رؤيتها . والترعة الموصلة الماء للاسكندرية منظرها بديع . فالجنائن والرياض المزروعة على صفتيها تجمّل مجراها[٢] » . اه

ويلوح من أول وهلة أن عبارتى أبى الفداء السالفتين متعارضتان ولفهمهما يلزم ملاحظة أن أولاهما خاصة بجزء

(١) ـ فى كتاب تقويم البلدان لأبى الفداء ص ١١٣ أمام الكلام على الاسكندرية : والحنطة تجلب الى الاسكندرية ولذلك لا تكون مرخصة لأن أرضها سبخة .

(٢) ـ فى كتاب تقويم البلدان لأبى الفداء ص ١٠٥ : وللاسكندرية جزيرة الرمل وهى بين خليج الاسكندرية وبين البحر المالح وطولها بقدر نصف مرحلة جميعها كروم وبساتين وترابها رمل نظيف حسن المنظر وخليج الاسكندرية الذى يأتيها من النيل من أحسن المنتزهات لأنه ضيق مخضر الجانبين بالبساتين .

السهل الواقع على يسار الترعة فهذا الجزء نظرا لانغماره بمياه بحيرة مريوط كانت أرضه حقيقة مشوبة بملح البحر . أما العبارة الثانية فينطبق نصها على جميع الفضاء المحصور بين ضفة الترعة اليمنى والبحر . فهذه الأرض لم تكن جميعها تقريبا مغمورة بالمياه فى ذلك الوقت كما هى الآن إذ أن بحيرة أبى قير التى لا ينبغى خلطها مع بحيرة أدكو (بحيرة المعدية القديمة) لم تكن ظهرت فى عالم الوجود حتى ذلك الحين .

ومما لا ريب فيه ان ضفاف ترعة الاسكندرية كانت مزدهرة زاهية حتى بعد أن أضحى العرب أصحاب السلطة والسيطرة على المدينة . ومما يبرهن على أن الحاجة كانت ماسة جدا لاتصال إحدى الضفتين بالاخرى الكبارى الأربعة التى مدوها بطول امتداد الفرسخ (٤٠٠٠ متر) الواقع قبل الاسكندرية . وأحد هذه الكبارى وهو الأكثر مجاورة لسور العرب قد تهدم . واما الثلاثة الأخر فكانت مشيدة على غرار واحد وكل واحد منها مكون من قنطرة واحدة مرتفعة ارتفاعا كبيرا لتيسير الملاحة .

وقبل أن نتكلم على الأعمال التى يلزم عملها لترعة الاسكندرية حتى تقوم بالغاية التى حفرت من أجلها على أتم وجه وأفضله نوضح الأسباب الهامة التى تحتم على الحكومة

إنجاز هذه الاعمال .

ان ترعة الاسكندرية ـ بعد ترعة السويس ـ هى أهم الترع التى ينبغى على ولاة الأمور فى مصر أن يعنوا بها كل العناية ويوجهوا أفكارهم لمباشرة اصلاحها لتصير صلة لا بد منها ولا غنى عنها للترعة التى تربط النيل بالبحر الأحمر . لأن النقطة التي تنتهى إليها هذه الترعة فى أى موضع كان من النهر لا بد للمراكب التى تمخر فيها أن تصل إلى الاسكندرية . ومن سداد الرأى أن يكون ذلك بواسطة الترع التى تسير فى داخلية البلد عوضا عن تعريضها لبحر عجاج كثير الرياح والأمواج أو تعريضها فى أوقات الحروب لغارات الأعداء ولقد أدرك الأغريق هذه الأشياء تمام الادراك . ولذا كانت جميع التجارة فى عهدهم تجرى بواسطة بحيرة مريوط التى كانوا يؤثرون موانيها على موانى البحر الأبيض المتوسط . ولكن فيما خلا ترعة السويس كانت ترعة الاسكندرية لم تزل لها قسط وافر من الأهمية جدير بأن يستوقف الأنظار . ومهما يكن من أمر الطريقة التى بها تستورد تجارة الهند أو البحر الأحمر الى مصر من السويس أو القصير ففى الواقع يدرك بالبداهة انها كانت ولا بد من أن توجه الى الاسكندرية لتشحن منها على السفن وهذه توزعها على

كافة البلاد الاوربية . وعلى ذلك تتطلب الأسباب التى أوردناها توا بشأن الاحتياج الى النقل فى داخلية البلاد أن تعود ترعة الاسكندرية صالحة للملاحة طول السنة . وهذه العملية تكون من ناحية أخرى مصدر سعادة وفلاح لمصر وتهىء للحرث والزرع جانبا لا يستهان به من أرضها ضيعته يد اهمال ذوى الحل والعقد الاجرامى فتظهر مرة أخرى ضفافها الجافة المهجورة فى الوقت الحاضر وقد أعيد لها خصبها القديم . وهذه الحالة تنطبق انطباقا تاما عجيبا على حاجات الاسكندرية الحديثة التى هى الآن مع ازدياد عدد سكانها وازدياد نشاطها لا تستهلك جزءا كبيرا من حاصلات مصر الحالية .

وكيفما قلبنا الطرف وأجلنا الفكر فيما عساه أن تصلح له الترعة التى نتحدث عنها نرى أنه لا غنى لمصر عن الاسكندرية فلا يجوز أن تترك عرضة لأن يضيع كل اتصال بينها وبين النيل فى طرفة عين .

لقد قلنا فيما سلف إنه يوجد فى اتجاه نهاية بحيرة أبى قير جسر مبنى بالاحجار عرضه من ٦ الى ٧ أقدام يفصلها عن الترعة . ومع أن هذا الجسر قد أقيم حديثا وفى بنيانه من المتانة حد الكفاية غير أنه نظرا لأهماله وعدم اجراء أى شىء فى سبيل صيانته تطرق اليه الفساد والدمار . وقد

تحدث العــــوارض الشديدة انهياره . وبما أن مياه البحيرة أشد انحطاطا من مياه الترعة فينجم من ذلك أن تنسكب جميع هـذه المياه فى البحـــر . والأنكى من ذلك انه اذا كان القطع ينشأ على أثر عاصفة شديدة يحدث عنها ايضا انقلاب جسر الترعة الثانى فعنـدئذ تنحدر مياه بحـــيرة أبى قير فى كل عرض السهل الذى كانت تشغله فى العصور الخاليـة بحـيرة مريوط . وهـذا السهل لايزال مستواه الى الآن أحط من مستوى البحر . وعنـد ذلك تـكون مدينة الاسـكندرية مرة أخرى قائمة على برزخ ضيق جدا كما كانت فى زمن وجـود هذه البحيرة ولـكن مع هذا الفرق وهو أنه لن يعود بعد فى حكم الاستطاعة توصيل مياه النيل اليها .

ولهـــذا يجب اعادة بناء الجسور التى تفصل البحـيرة عن الترعــــة لتصير بالحالة التى كانت عليها قبـــلا وبناء جسور أخـــرى فى كافة المواضع التى تخترقها بل ربما قـد يكون من سداد الرأى ومن الأسهل كثيرا ابعاد الترعة عن البحيرة . وهـــذا الأمر لا يحـدث زيادة فى النفقة لأن السهل الذى تمر منه الترعة نظرا لشدة انخفـــاضه كما ذكرنا سلفا يدعو الى الاكتفاء باقامة جسور فقط لحفـظ الترعة . والحاصل أنه اذا أعيـد بناء الجسر الذى يفصل البحيرة عن البحر أو على الأقل

اذا اعتنى بملاحظتـه لكيلا تزداد سوءا على سوء فلا يكون هنالك خـــوف مطلقا من العوارض التى قد تحدثها اضطرابات مياه البحيرة الشديدة .

والاشغال التى يمكن مباشرتها لتبقى دواما ترعة الاسكندرية صالحـــة للملاحة لا يمكن اتمامها فى سنة واحدة . بل من المستطاع تدبيرها بكيفية تجعلها من السنة الأولى لمباشرتها تأتى بفوائد جمة . وهكذا يستطاع فى سنة واحدة بقاء الملاحة سهلة مدة ثلاثة أشهر من السنة التالية لبدء العمل . ويكفى لانجاز هـــذه العملية مبلغ قدره ٢٦٠٠٠٠ مائتان وستون ألف فرنك (١٠٠٢٩٥٠ قرشا) وإليك الكيفية التى بها يمكن الحصول على هذه النتيجة .

ان قياس المناسيب الذى عمـل فى الثمانيـة فراسخ الأولى (٣٢٠٠٠ متر) من الترعة دل على ان انحـــدارها شديد للغاية فى هـــذا الجزء لدرجة أنه لم يعد يوجد بعدها انحدار فى باقى مجـراها . وهذا الانحـــدار الجسيم ناجم من رواسب الطمى السنوى التى تزداد جسامة قرب الرحمانيـة أكثر مما تزداد قرب الاسكندرية . واذن يكتفى بمباشرة الأشغال أولا فى الثمانيـة فراسخ الأولى (٣٢٠٠٠ مـتر) وذلك بحفـــر مترين ونصف عند مدخـــل الترعة وبتقليـل العمق تقليلا يتناسب مـع المسافة

التى يكون الانسان عندها من المدخل بحيث يجد عند نهاية الثمانية فراسخ قاع الترعة القديم . وبجاز هذه العملية بعرض عشرة أمتار يستلزم رفع ٤٦٨٠٠٠ متر مكعب . واذا أضيف الى ذلك ١٣٢٠٠٠ متر مكعب عن الأشغال التى تتطلبها بعض أجزاء الترعة لاسيما الجزء الواقع بجوار بحيرة أبى قير يكون المجموع ٦٠٠٠٠٠ متر مكعب يقدر تطهير المتر الواحد منها بمبلغ ١٢ ميدى (١٢ بارة أو ٣ ماليات) بما فى ذلك جميع النفقات . وتقدر بما يقل قليلا عن ٢٦٠٠٠٠ فرنك (١٫٠٠٢٫٩٥٠ قرشا) .

أما الوقت اللازم لاتمام هذه العملية فهى لا تتطلب أكثر من ١٥٠ يوما إذ فى الامكان حشد ٢٧٠٠ (ألفين وسبعمائة) عامل حيث يمكن للمزارعين أن يحصلوا على ١٥٠ يوما فى السنة وذلك فى الفترتين المحصورتين بين البذار والحصاد وبين الحصاد والفيضان .

ونحن لا نزج بأنفسنا فى جميع التفاصيل الخاصة بالاتجاه الجديد الذى يلزم أن تتخذه بعض أجزاء الترعة لجعل الملاحة أكثر سهولة ولكن نلاحظ فقط أنه لما كان مجرى الترعة العمومى يتجه تقريبا من الشرق الى الغرب بينما الريح تهب فى معظم الأوقات من الشمال الى الجنوب فيلزم العمل على أن لا يكون

أى اعوجاج من هذه الاعوجاجات فى هذا الاتجاه الأخير حتى يمكن طلوع ونزول المراكب فى جميع فصول السنة . أما مدخل ومصب الترعة فهذان يلزم أن تتخذ فيهما تغييرات لا بد منها . وهاك بيانها :

ان التغييرات التى يلزم اجراؤها فى المدخل هى وضعه قرب طابية الرحمانية فهذا الموضع الذى يحتفظ فى أوقات التحاريق بماء عمقه أكثر من ثلاثة أمتار يستطيع بقليل من العمل أن يصير ميناء فسيحا وحسنا . وهو واقع بجوار جزيرة صالحة جدا لاقامة المخازن الضرورية لمثل هذه الملاحة .

والعوائق التى يجب اجتنابها بعناية تامة فى الطريق الجديد الذى يراد اعداده للتجارة هى وسق المراكب والمخازن المختلفة . وهذا الأمر الذى كثيرا ما يكون سببا فى التأخيرات يستدعى تشييد محال للجمارك وبالتالى تحصيل رسوم على البضائع . واذن يجب أن تتصل ترعة الاسكندرية بالبحر حتى لا يكون هنالك احتياج لنقل البضاعة المجلوبة بطريق الترعة برا .

ولكن قبل أن ندل على موضع الميناء الذى يكون فيه — على ما يلوح — من المناسب أن تنتهى الترعة نعيد

على الذاكرة أنه لما ضم الاسكندر جزيرة المنار الى الارض اليابسة وجعل بهذه الكيفية مينائين للاسكندرية شعر الناس بضرورة اتصالهما حتى تستطيع المراكب أن تخرج فى كل الفصول تقريبا فترك لهذا الغرض فتحتين فى الهپناستاديم Hepnastadium وهاتان الفتحتان تكونتا فى نفس الوقت الذى اتسع فيه عرض الهپناستاديم من جراء رواسب المياه بحيث حلت المدينة الحديثة كما هو معلوم محل السد القديم .

وبما أن ضرورة اتصال المينائين ببعضهما لم تزل كما كانت فى تلك العصور القديمة فمن رأينا أنه لو عمل قطع متسع يصل الواحدة بالاخرى لدعت الحالة لجعل نهاية ترعة الاسكندرية فى هذا القطع بكيفية تجعلها خاصة بالمينائين على السواء وان تخترق المدينة الحديثة بالطول . واستمرار وجود مياه النيل بالاسكندرية يصبح أمرا ضروريا جدا لو فرض أن عدد السكان زاد زيادة كبرى لأن كمية المياه التى يمكن أن تسعها جميع صهاريج المدينة لا تستطيع أن تكفى على أكثر تقدير عدد سكانها فى الوقت الحاضر إلا مدة سنة ونصف .

وهذا الفم الجديد المفتوح على النهر يضعف على وجه التحقيق كثيرا فرع رشيد الذى يختلط ماؤه فى فصل الصيف

بماء البحر الملـــح فى مرحلة أربعـة أو خمسة فراسخ (١٦٠٠٠ أو ٢٠٠٠٠ مـتر) فـوق مصبـه ولكن عـدا أنه فى حـــكم الاستطاعة تكثير جريان مياه النيـل فى كل الاوقات وذلك بتضييق مصباته فى البحـــر وانه قد يمكن دواما التحكم فى مياه الترعـــة بألا يعطى شىء منها إلا المقدار الكافى للضرورات والاحتياجات الصحية فاقامة سد (هويس) عند منتصف طولها وآخر عند نهايته فى الميناء يكفيان لعدم ضياع الماء سدى . والسد الذى فى الطرف وحـده قد يكفى كل الكفاية لتأدية هذا الغـــرض ولكن يجب أن تكون الابواب مرتفعة ارتفاعا كبيرا والجسور أيضا عاليـــة كثيرا لأنه يلزم أن تكون قممها أفقية فى جميع طولها .

ونحن لانأخذ على عاتقنا التعمق فى مناقشة الوسائل الممكن التذرع بها لجعل ترعة الاسكندرية صالحة للملاحة طـول السنة ولا فى تعداد الاشغال الصناعية التى تلزم لذلك .

ولكن الغرض المهم الذى يجب تقديره ان هـذا الحصر يتعـذر ولو بوجـه التقريب فى جميع ما يدخل تحت اسم (بناء) . أما رفع الاتربة فهذا شىء يمكن تقديره .

فقد بينا فيما سلف أن ٢٦٠٫٠٠٠ فرنك (١٫٠٠٢٫٩٥٠ قرشا)

تكفى لجعل الترعة صالحة للملاحة لمدة ثلاثة أشهر من السنة . ولكن لا يلزم أن نستنتج من ذلك أن أربعة أمثال هذه القيمة تجعلها صالحة للملاحة طول السنة . إذ أنه يؤخذ من ناموس حركة مياه النهر أنه اذا كان يلزم فى العملية الأولى خفض مدخل الترعة مترين ونصف متر فلا يلزم خفضه فى العملية الثانية اكثر من متر واحد وثلاثة أعشار المتر أى مجموع قدره ثلاثة أمتار وثمانية أعشار المتر فى الحالتين .

ولما كان امتداد الترعة من ١٩ الى ٢٠ فرسخا (أى ٧٦٫٠٠٠ أو ٨٠٫٠٠٠ متر) وانها عميقة فى الاسكندرية العمق الكافى فعلى فرض أن عرضها ١٠ أمتار دائما يكون اللازم رفعه من الأتربة ١٫٧٣٠٫٠٠٠ (مليون وسبعمائة وثلاثين الف) متر مكعب .

وهذا هو الذى يمكن عمله حسب التقدير السالف فى سنتين أو ثلاثة بمبلغ ٧٥٠٫٠٠٠ فرنك (٢٫٨٩٣٫١٢٥ قرشا) . اه

(٢) — نبذة عن ترعة المحمودية لمسيو كوست

وتكلم مسيو كوست كبير مهندسى ترعة المحمودية عنها فى كتابه : (ملاحظات وتفكيرات عن السياحات من سنة ١٨١٧

الى سنة ١٨٧٧ م) طبع مرسليا سنة ١٨٧٨ من ص ٩ الى ص ٤٦ . وقبل أن نأتى على ما ذكره مسيو كوست عن هذه الترعة نذكر لك فذلكة تاريخية عنه فنقول : —

لما كان محمد على يرغب احياء مصر كان يتقبل الاجانب قبولا حسنا ليعاونوه فى نجاز مشروعاته . وكان من بين هؤلاء الاجانب مسيو بافى Baffi الكيماوى . وهذا كان قد أتى من روما ليعرض عليه إنشاء مصنع لعمل ملح البارود بدون قزان ولا نار ينتج سنويا ٣٠٠٠ قنطار من هذه المادة فى نظير منحة قدرها خمسمائة الف فرنك (١٫٩٢٨٫٧٥٠ قرشا) مع طلب مهندس معمارى ليدير حركة بناء هذه المؤسسة الجديدة وغيرها مثل مصنع البارود ومصنع الصابون الخ . فقبل محمد على هذا الطلب . ولمباشرة الشروع فى هذا العمل أرسل محمد على عاملا فرنسيا الى فرنسا لمسيو جومار Jomard فى باريس ليرجوه اختيار مهندس معمارى فرنسى ذى كفاءة للقيام بتأدية هذه المأمورية . وتذكر مسيو جومار وقت اقامته فى باريس مسيو كوست فعرض عليه أن يسافر لتأدية هذه المأمورية فقبلها مع وافر الشكر .

وتعهد مسيو كوست فى الشروط التى عملت أن يعترف بمسيو بافى Baffi مديرا عاما للأشغال التى يراد عملها . وتحددت



مسيو كوست

كبير مهندسي ترعة المحمودية

أتعابه بمبلـــغ ١٨٫٠٠٠ قرش صاغ أى ٧٢٠٠ سبعة آلاف ومائتى فرنك وأخذ على عاتقـــه استحضار معلم بناء ليعلم العمال ودفعت له نفقات السفر لغاية ما يصل لمسيو بافى . وعـلاوة على ما ذكر صرف له مبلغ ٢٠٠٠ فرنك (٧٧١٥ قرشا) لشراء آلات وغيرها ووقع الطرفان على الشروط في سبتمبر سنة ١٨١٧ م بمرسليا لمدة سنة واحدة .

وكان كوست فى ذلك الحين فى السنة الثلاثين من عمره . وكان سفره من مرسليا فى ٦ أكتوبر سنة ١٨١٧ م على القرويت (بّلا نينـــا Bella Nina) من ممتلكات محمد على . وكان يقودها ربان تركى . وكان تحت امرته عدد كبير من الملاحين يتألف من خليط من الترك واليونان والمالطيـــة والطليان . وربان السفينة الثانى هو الوحيد الذى كان يتكلم الفرنسية والذى معـــه كان يستطيع أن يتحدث . والوصول كان فى أول نوفمبر من السنة المذكورة . وبعد استيفاء الاجـــراءات الجمركية سكن فى حى الافرنج فى منزل مسيـو ناردى (Nardy) تاجر ومراسل مسيو بافى (Baffi) وظل عشرة ايام فى الاسكندرية الأمر الذى سوغ له التفرج على الخرائب التى فى المدينة .

وسافر مسيو كوست الى رشيد فى ١٠ نوفمبر بعد أن استأذن مسيو ناردى شاكرا ضيافته الودية ووصل الى رشيد فى الغد (١١ نوفمبر) ونزل عند مسيو تورنو (Tourneau) من فرسان الخيالة القدماء ومن التجار ووكيل قنصلية فرنسا ومراسل مسيو باقى . وهذا أركبه متن ذهبية الى الطرانة محل سكن هذا الأخير . وكانت الرحلة طويلة فى هذا الفصل الذى فيه تكثر رياح الجنوب وتكون الاشرعة عديمة الجدوى ولا ينفع غير السحب باللبان ومجهود الملاحين . وعلى ذلك لم يصل الى الطرانة إلا قبيل آخر الشهر .

واستقبله مسيو باقى أحسن استقبال هو وجميع اتباعه وهم كثيرون . وكان يدير فى هذا الوقت مصنعا لملح البارود بقزانات بناه على اطلال طيرينيتس القديمة Térénutis (كوم أبو بلو) الواقعة على مسافه ٤ كيلومترات جنوب غرب الطرانة الواقعة على طرف الصحراء . وكان مسيو باقى قد حاز ثقة محمد على الذى سماه عمر بك ورئيس المماليك الفرنسيين وهؤلاء هم جنود جيش بونابرت الفرنسيون القدماء الذين بقوا فى مصر وخدموا محمد على في ظروف مختلفة ولم يبق منهم إلا زهاء مائة وجميعهم عاجزون . وقد أذن لهم أن يعملوا بصفة تراجمة للسياح الاجانب وأسكنوا فى الترسخانة وفى

مختلف المصانع التى أقيمت حديثا ويديرها أوربيون . وكان مع مسيو بافى نحو العشرين منهم .

وبعـــد بضعة أيام استراح خلالها طلب منه مسيو كوست أن يقـدم له بيانا عن مصنع ملـح البـــارود بدون نار ليرسم مشروعا اجماليـــا بـكافة الأبنية التى تلزم . وبما أن طريقـة الصناعة هـذه كانت سرا من الاسرار تردد فى اجابة طلبـه إذ كان يريد قبـل أن يطلعه على ذلك أن يعرف سجيته ومبلـغ أمانته فأجل هـذه الاجابة الى ما بعد سفرهما الى مصر واطـلاع محمد على على هذا الطلب .

وفى ينـــاير سنة ١٨١٨ م توجها الى القاهـــرة . وسارع مسيو بافى الى تقديمه بواسطة باغوص بك الارمنى الجنس والمترجم الأول لمحمد عـــلى الى سموه فى سرايه القائمة فى القلعة فأكرم محمد عـــلى وفادته ودعاه للجلـوس على الديوان حيث قدمت اليـه القهـــوة والشبق . وقال مسيو كوست إنه لدى الدخـول فى قاعة الجلسة كان محمـد على متربعـــا فى ركن الديوان (المقعـــد) ويلوح انه كان يتهجى حروفا بجانب أحد المشايخ . وعند خروجه من المقـــابلة لاحظ لباغوص بك أن سموه كان يتعلم القراءة فأجاب : « نعـم » ان البـاشا أدرك ضرورة التعلم وكانت سنه وقتئذ أربعين سنة وقد وخطه الشيب وتوصل

بمحض قوة ارادته ان يقرأ ويتثبت من مصلحته .

وبعد أن انتهت المقـــابلة زارا كيخيا بك ناظر الداخلية وشريف بك ناظر الماليـــة حيث أجرى مسيو بافى قيده بصفة موظف من موظفى الباشا طبقا للشروط التى تم توقيعهــا فى مرسليا . وفى الايام التالية قدمه لمشاهير التجار المقيمين بمصر .

والحـــاصل أنه فى شهر فبراير قرر بعد أن حاز ثقـــة مسيو بافي بأن يحيطه ببيـــانه عن تشييد مصنع ملح البارود الذى يقـــال إنه (بدون نار) والاصوب أن يقال عنه إنه يصنع بواسطة التبخـــير . وهذا ما تم عمله على الارض المخصصة لهذه المنشأة المقامة قرب البدرشين بمديرية الجيزة . وتمت الاشغال الرئيسية فى يونيـــه الأمر الذى سوغ لمسيو بافى الشروع فى صناعته . وكانت النتيجة أن اخذت هذه الصناعة تتقدم يوما بعد يوم وتفوز بالحصول على ملح البارود النقى .

وفى شهر سبتمبر سنة ١٨١٩ م انتهت جميـــع اشغال مصنع ملح البـــارود المصطنع بالتبخير . وعند ذلك أرسل مسيو بافى بأمر محمد على مسيو كوست الى مصر القديمة لينظم ويشرع في أشغال بناء معمل كبير للبارود يقام فى ركن جـــزيرة الروضة الجنـــوبى الملاصق لمقياس النيل . وتم جميع ذلك بادارته

وتحت مباشرته طبقا لرسومه ومفصلاتها . وكان قد عين مفتشين ذكيين للقيام على الأشغال فى أثناء غيابه أحدهما مصرى للبناء والثانى اغريقى للأشغال الأخرى . وتم كل ذلك فى سنة ١٨٢٠ م وارتاح الباشا كثيرا لأعمال البناء ومختلف عينات البارود التى كان ينتجها المصنع .

وفى غضون مباشرة هذه الأعمال كان محمد على يفكر فى حفر ترعة الاسكندرية وجعلها صالحة للملاحة فاستدعى مسيو كوست وكلفه بصفته كبير المهندسين بهذه المهمة .

وهاك الآن ترجمة ماقاله مسيو كوست فى كتابه الآنف الذكر فى شأن حفر هذه الترعة :—

فكر محمد على باشا فى أن ينشئ ترعة للملاحة تتمكن بواسطتها المراكب المشحونة بمختلف محصولات اقاليم مصر العليا والوسطى والسفلى من الوصول مباشرة للاسكندرية لاجتناب المرور من بوغاز رشيد الواقع فى مصب نهر النيل وذلك لصعوبة وخطر المرور منه وكثرة ما يحدث من الغرق فيه . فجمع محمد على كل مديرى الوجه البحرى السبعة لينظموا الوسائل اللازمة لانجاز هذا المشروع فأجمعوا الرأى على أن يكلف شاكر افندى المهندس التركى برسم وتتميم

الاشغال اللازمة للترعة وأن يجعـــل مدخلها فى قرية العطف الواقعـــة تحت مدينة فوه وعرضها ثلاثون مترا ومتوسط عمقها ٣ر٦٥ من الامتار وامتدادها ٨٠ الف وبضعة امتار .
وأن يورد كل مـــدير الرجال والمقاطف بنسبة تعداد اهالى مديريتـــه موزعين كالآتى : الجيزة ٣٠ الف والبحيرة ٥٠ الف والقليوبيـــة ٣٠ الف والمنوفيـــة ١٢٠ الف والشرقيـــة ٢٥ الف والمنصورة ١٥ الف والغربيـــة ١٣٠ الف فيكون المجموع ٤٠٠ الف رجل .

وكان المديرون مخيمين على رأس مديرياتهم كل منهم مع لفيف جماعته وكان لكل قرية خيمة . اما غذاؤهم فكان البصل والفول والجـــزر وخبز الذرة . وكان على كل قرية امتداد معين من الترعة لتحفره وذلك بنسبة سكانها . وعندما تنتهى مأموريتها تسرح انفارها وترجع الى بلدها .

ورسم المهندس التركى الترعة . وعوضا عن أن يرسم امتدادها مستقيما رسمها خطا معوجا غير مستوف للشروط بدون أن يعمل قبل كل شىء عملية قياس تسوية السطوح (وذلك لجهله بعلم مقاس السطوح ـ جيئوديزى ـ (Géodésie) .

وشرع فى العمـــل فى سنة ١٨١٨ م وذلك بحفر ٣ر٦٥

من الامتار بموازاة سطح الارض وعرض ثلاثين مترا . فنجم من هـــذه العملية ارتفاع قاع الترعـة فى مواضع وانخفاضه فى أخرى . ولما وصل الحفـــر الى محطة السد(١) الذى بين بحيرتى أبى قـــير ومريوط وقف العمـل وقفا تاما فوقعـوا فى حيرة ولم يعودوا يعرفون كيف يصنعون ليجتازوا هـذا الممر وصرفوا الرجال فعادوا الى مديرياتهم .

واستدعانى الباشا عند ذلك الى الاسكندرية وكان هـــذا الاستدعـــاء فى شهر مارس سنة ١٨١٩ م وكلفنى أن أتمم الترعـــة ونبهنى بأنه لا يريـد أن يغـير شيئا من الرسم الذى أمسى فى حكم الأمر الواقـــع . فقبلت واستحضرت التلاميـذ المصريين الذين ثقفتهم ليساعـدونى فى اجـــراءاتى وراقبوا اشغالى .

وابتدأت باجراء عمليتين لتسوية مناسيب الأرض : إحداهما من الاسكندرية لغاية العطف والنيل والثانية من النيـل الى

(١) ـ هـذا المكان هو الذى قطع فيه الجيش الانكليزى الترعة ليغمر بالماء بحيرة مريوط في سنة ١٨٠١ م ويفصل قسم الجيش الفرنسى الذى كان بالاسكندرية عن قسمه الذي كان بالقاهرة . وهـذا القطع انسد ومن هنا نشأت هـذه التسمية . والسد المذكور واقع بين عزبتى طحيمر وأبى سليمان عند الكيلومتر ٦٣ من ترعة المحمودية .

الاسكندرية فحصلت على فرق طفيف فأخذت المتوسط لتحديد عمق حوض الترعة وأجريت غرس أوتاد من الخشب يبعد الواحد عن الآخر ٣٦٥ مترا على شواطىء الترعة وبينت عليها العمق الذى يجب أن يصل اليه حوض الترعة . وبعد أن انتهت هذه الترتيبات قدم الفلاحون من مختلف المديريات بفؤوسهم ومقاطفهم يقودهم عمال المديرين ليعدلوا عمق الترعة وشواطئها بطول امتدادها . وكان تلاميذى مرصوصين بجانب الاوتاد المرقومة بأرقام تدل على عمق حوض الترعة . وعدلت أيضا بعض المنحنيات غير المستوفاة الشروط وكنت اراقب هذه الأعمال يوميا على متن جواد ذهابا وايابا من الاسكندرية الى المطف . وفى الوقت نفسه كنت اقوم بعملية الجسور لحصر الترعة فى الممر الواقع بين بحيرتى أبى قير ومريوط على امتداد ٢٥٠٠ متر ببناء حيطان قوية وسنادات مبنية بالجير المائى قائمة على دعائم فى الماء . وكل هذه الاشغال تمت فى شهر ديسمبر سنة ١٨٢٠ . واحتفل بفتح فوهتها لدخول مياه النيل للاسكندرية فى شهر فبراير سنة ١٨٢١ وارتاح محمد على باشا من هذه الاعمال أشد الارتياح (وسميت المحمودية تيمنا باسم السلطان الجالس على عرش الخلافة فى ذلك الوقت) .

أما الأشغال الأخـــرى مثل الهويس الكبير القائم على رأس الترعـــة فى العطف وقناطر الهويس التى عند مخرج المياه فى الميناء القديمـــة والميناء الجديدة بالاسكندرية وقنطرة باب رشيد وغيرها فهذه بنيت فى السنين التاليـــة وفقا للرسوم التى خططتها وبينت مفصلات انجازها .

أما الحى الذى كنت أقيم به فى أثناء تـــأدية أشغال الترعة فكان فى معسكر اسماعيل باشا (نجل محمد على) قرب عمـــود السوارى وهو الذى كان متوليا منصب مدير العمل فى هـــذه الترعة . وكان الطاعون فى ذلك الحين منتشرا انتشارا شديدا ويفتك بخـــلائق عديدة . وأعرب اسماعيـل باشا عن رغبته فى وضع معسكره تحت الحجر وكلفنى بالمراقبـة فأجريت احاطـة المعسكر بحبال من الليف مربوطة بأوتاد متباعدة وأجـــريت أيضا نصب خيمة في الخارج للأشخاص الذين يقدمون من المدينة .

وكان مـدير الجمارك عثمان أغا الذى كانت تربطنى به رابطـــة صداقـة يأتى يوميا ليزور الباشا وذلك بدون أن يدخل فى حظيرتنا . وفى يوم جاء الحاج عثمان وأخبرنا أن جميـــع حاشيته وعددها ثلاثون شخصا ماتوا بالطاعون وانه أتى الينا طالبـــا ضيافته فى معسكرنا فأجـربت اقامتـه فى

المحجر خمسة أيام ثم اذن له بالدخـــول واستقبله اسماعيل باشا استقبالا حسنا .

ولم يصدنى الطاعون عن الذهاب لتفقد أحـــوال أشغال الترعـــة حيث هـذه الضربة لحسن الحظ كانت لا تفتك إلا بقليل من العمال الـكثيرى العدد .

وفى مـدة اقامتى الطويلة فى مصر كان يظهر الطاعون بشدة قليـــلة أو كثيرة كـل سنة فى شهر ديسمبر ويختفى في شهر مايو أو يونيـــه ثم ينتقـل الى القسطنطينية وكل بلاد الشرق . واشغالى الكثيرة لم تـكن لتترك وقتا للقلق وانشغال البـــال . وكنت فقط آخـــذ بعض الاحتياطات . وراح ضحية هـــذا المرض ترجمانى وثلاثة خـدم وشاب من الزنوج وبعض التلاميذ .

وفي غضون اقامتي فى معسكر عمـود السوارى زارنى فرنسى وهـــو مسيو سيف أحـد ضباط السوارى . وكان قد قدم حديثا للاسكندرية وأبدى رغبته في الالتحاق بخدمة محمد على باشا . فبادرت بتقديمه لسموه فقابله أحسن قبـول . وعينه لأدارة ورش صناعة المدافع في ترسانة القاهرة .

وفى ديسمبر سنة ١٨٢١ قـدم مسيو هيـــو Huyot المهندس

المعمارى الى القاهرة فرافقته الى الاسكندرية ليبحر منها ويرجع الى فرنسا . ولما علم محمد على بوجود مسيو هيو بالاسكندرية بعث اليه بترجمانه بوغوص بك ليكلفه بأن يجول بترعة المحمودية وليحصل على رأيه عن الاعمال التى تمت وعن الأشغال التى يجب القيام بها ووجوب مرافقتى له فى هذه السياحة .

وجبت معه الترعة على طـول امتدادها . وأطلعتـه على رسوم وبيان الأشغال الواجب القيام باجرائها لتتميمها نهائيا . ولدى رجـوعه للاسكندرية كتب تقريرا وقدمه الى الباشا ووافـق فيه على ما كنت قدمته مع بعض التعديلات . وارتاح الباشا لذلك وشكره ومنحه هبة سخية .

وعدت الى القـاهرة لأرتب أشغال معمل البـارود التى انتهت وأشغال مصنع ملح البـارود الذى يسوى بالتبخير حيث نجح فيـه مسيو بافى نجاحا باهرا وحصل على انتاج أكثر من ٣٠٠٠ قنطـار من ملح البارود سنويا . ونقـده الباشا ٥٠٠٠٠ فرنك (١٫٩٢٨٫٧٥٠ قرشا) حسب الاتفـاق المعقود بالقنصلية الانكليزية بالقاهرة .

وسافر مسيو بافى الى ايطاليـا مرتديا ملابس شرقيـة وهنـاك بدد هـذا المبلغ فى سنتين ثم عاد الى مصر حيث

استخدمه محمد على فى تصفية النطرون الذى أنتجته البحيرات فى الصحراء على مرحلة ٤٠ كيلومترا من الطرانة . اه

وإتماما للفائدة نستطرد بذكر أعمال أخرى قام بها مسيو كوست لمصلحة مصر وها كها : —

١ — فى سنة ١٨٢١ م اقامة سلاملك على شاطىء الميناء قرب سراى رأس التين .

٢ — ومن سنة ١٨٢١ الى سنة ١٨٢٢ م الابراج التلغرافية التسعة عشر ابتداء من الاسكندرية لغاية قلعة القاهرة . وأقطارها من ٥ الى ٧ أمتار وارتفاعها من ٩ الى ٢٢ مترا بما فى ذلك الآلة الميكانيكية والملحقات التلغرافية التى توصل الأخبار فى ظرف ١٥ دقيقة .

٣ — حوض حديقة شبرا الكبير مع ممشى ومقاصير للجلوس .

٤ — ترعة وادى الطميلات وطولها ٣٥ كيلومترا وعرضها ١١ مترا وعمقها ٣٫٦٥ من الأمتار . وأنجز هذا العمل بمعاونة تلاميذه المصريين فى ١٥ يوما بواسطة ٨٠٫٠٠٠ فلاح . والأهوسة والقناطر أنجزت فى السنين التالية . وأنشئت هذه الترعة لرى مزارع التوت .

٥ — مشروع بناء مسجدين أحدهما بالقاهرة والثانى بالاسكندرية .

٦ — وفى أغسطس سنة ١٨٢٠ م أرسله محمد على إلى معبد أبى صير غرب الاسكندرية لارتياده وادى أبى صير حيث زعم العرب أنه فى حكم الاستطاعة بواسطة مد ترعة لتوصيل مياه النيل الى ذلك الوادى إمكان إنشاء مزارع به . ولكن من عمليات قياس السطوح التى أجراها تحقق أن لا سبيل لتوصيل مياه النيل اليه .

وبعد أن أقام مسيو كوست بمصر خمس سنوات شعر بالرغبة بل بالاحتياج الى أن يعود الى مسقط رأسه ويرى آله وأصدقاءه . وعلى ذلك طلب من محمد على اجازة غير محدودة فأذن له بذلك وزاد أن قال له : « الى الملتقى ـ وعاجلا » .

وقبل أن يسافر جمع كل تلاميذه وترك لهم كل البيانات والرسوم والتفاصيل لكى يتمكنوا من الاستمرار فى مواصلة الأشغال التى بدءوها .

وفى ٢٧ اكتوبر سنة ١٨٢٢ ركب البحر من الاسكندرية ميمما فرنسا وظل فيها لغاية سبتمبر سنة ١٨٢٣ وسافر من مرسيليا

فى الثالث من هذا الشهر ووصل فى ٨ اكتوبر من هذه السنة الأخيرة الى الاسكندرية . وزار محمد على فأعرب عن ارتياحه من أن رآه مرة أخرى وعينه رئيسا لكافة أشغال الوجه البحرى .

٧ — وبعد أن استراح زمنا يسيرا ذهب الى القاهرة حيث جمع تلاميذه ورحل ليعاين كافة الأشغال التى تمت فى زمن غيابه ولسهولة نجاز الأشغال فى المديريات عرض على الوالى ترتيب هيئة مهندسين من تلاميذه فى مديريات الوجه البحرى . وأن يكون لكل مديرية ثلاثة مهندسين درجة أولى وثانية وثالثة . وصادق الوالى على ذلك .

وفى سنة ١٨٢٤ م طلب منه محمد على أن يعمل المشروعات الآتية :

٨ — سراى تقام قرب محل اقامته فى شبرا .
٩ — مسجد كبير فى الاسكندرية .
١٠— سراى فى الاسكندرية لترجمانه ووزير الخارجية بوغوص بك .

ولكن أوقف إنجاز هذه المشروعات بسبب نفقات الجيوش المرسلة مساعدة للدولة العثمانية فى حرب المورة .

١١ — وفى ٥ مايو سنة ١٨٢١ كان محمد على فى محل اقامته فى شبرا واستدعى مسيو كوست ليذهب الى الوجه القبلى ويقابل مدير أسيوط لينظم أشغال الترعة السوهاجية . وفى ١١ يونيه رجع الى القاهرة وفى الغد توجه الى شبرا ليزور الوالى ويقدم له تقريرا عن المأمورية التى عينه فيها فحاز ذلك رضى الوالى .

١٢ — وفى سبتمبر سنة ١٨٢٢ كلفه محمد على أن يخطط له مشروعا بتجديد طابية أبى قير التى كانت تهدمت وخربت من بعد جلاء الجيش الفرنسى مع ضم متراسين فوق النقطتين الأشد ارتفاعا على الساحل لصد نزول العدو على شواطئ هذا المرفأ فى وقت الحرب .

١٣ — وقبيل آخر سنة ١٨٢٤ أجرى حفر ترعة طنطا بامتداد ٤٠ كيلومترا وعرض ١١٫٥٠ من الأمتار وعمق ٦ أمتار . وفمها قائم على ترعة شبين الكبيرة فى قلب الدلتا .

١٤ — وفى سنة ١٨٢٥ حفر ترعة كفر طلخان بمديرية الجيزة بامتداد ٣ كيلومترات وعرض ١٦ مترا وعمق ٤ أمتار .

١٥ — وحفر فى السنة نفسها فى مديرية المنصورة ترعة من النيل الى السنبلاوين امتدادها ٢٨ كيلومترا وعرضها ١٢ مترا

وعمقها ٤ أمتار .

١٦ — وفى سنة ١٨٢٦ حفر بمديرية البحيرة على امتداد الضفة اليسرى لفرع رشيد ترعة امتدادها ٦٣ كيلومترا وعرضها ١٥ مترا وعمقها ٦ أمتار (رياح البحيرة) .

١٧ — وفى بدء سنة ١٨٢٧ حفر ترعة القاهرة (الخليج) المارة بين المدينة وبولاق لغاية اليهودية بامتداد ٢٨ كيلومترا وعرض ٢٠ مترا وعمق ٧ أمتار .

وكل أشغال البناء من أحجار وطوب وقرميد اللازمة لهذه الترع المختلفة من أجل الأهوسة والقناطر وغيرها أنجزت حسب رسومه ومواصفاته فى السنين التالية .

وفى غضون ذلك الوقت أعياه التعب والنصب المتواصل بسبب كثرة الأشغال فمرض مرضا شديدا لدرجة أن أشار عليه الاطباء ومن بينهم كلوت بك بمبارحة البلد فقرر العودة الى فرنسا . واستدعى تلاميذه المهندسين وقدم لهم الرسوم ومواصفات تنفيذ كافة الأشغال التى شرع فى انجازها لكى يستطيعوا تتميمها ثم عانقهم وودعهم .

وزار بعد ذلك كيخيا بك وزير الداخلية ليحيطه بازماعه

على الرحيل وزار كذلك شريف بك وزير المالية . وهـــذا سوى له ما يستحقه . وسافر فى الحال الى الاسكندرية حيث قابل محمـــد على ليخبره بعزمه على السفر الى فرنسا ليعـــالج صحته ويبـــدى له ما شمله من الأسى والأسف لفـــراقه . فأعـــرب له الوالى عما يشعر به من الأسف من جـــراء عزمه هـذا وتمنى له سفرا سعيدا وأبدى أمله أن يراه عائدا عندما يبل من مرضه وينال الشفاء .

وبعد ذلك أبحر من الاسكندرية فى ٧ نوفمبر سنة ١٨٢٧ . وهكذا بارح نهائيا مصر .

ومسيو كوست هـــذا مؤلف كتابين عظيمـــين حجمها ضخم : أحدهما عن آثار القاهرة والثانى عن آثار الفـــرس . وكلاهما مزين بالرسوم والصور .

(٣) — نبذة لمسيو مانجان عن ترعة المحمودية

ونذكر فيما يلى ترجمة ما قاله عن ترعة المحمودية مسيو فلكس مانجان Felix Mengin قنصـــل فرنسا العام فى مصر فى عهد محمد على فى كتابه : (تاريخ مصر فى عهـد حكم محمـد على) ج ٢ من ص ٣٣١ الى ص ٣٣٤ طبعة باريس سنة ١٨٢٣ : —

ان القيام على صيانة الترع الكبيرة ملقى على عاتق الحكومة . بينما الترع الثانوية صيانتها تتكفل بها القرى . وتطهر هذه الترع سنويا قبل الفيضان . وهذه الأشغال التى لا بد منها ولا غنى عنها تؤدى بغير اكتراث ولا مبالاة فالفلاح وقد فترت عزيمته يتهاون فى القيام كما يجب بما هو مفروض عليه . ومن المحتم عمل رسم لعموم الاصلاحات ونظام خاص لتوزيع المياه . وها هو الوالى قد صرف همته لاجراء عمل هذا الرسم وهذا النظام . ومنذ ثلاث سنوات أجرى حفر ترعة قرب العطف لسهولة المواصلات مع مدينة الاسكندرية واجتناب مرور المراكب من ممر بوغاز رشيد المخوف بالمخاطر . وهذه الترعة التى تنضم لترعة الرحمانية تحت قرية ركة غطاس[1] تصل مياهها الى المينائين . وهى واسعة وعميقة وكثيرا ما تتدهور حافاتها فى كثير من المواضع لعدم انحدارها الانحدار الكافى وأنشىء بالطين الناتج من التطهير ضفاف مرتفعة تبعد عن الشط خمسة أمتار وهذا ما يجعل سحب المراكب باللبان سهلا . وقبل الفيضان ولدى الاقتراب من الاسكندرية يكون الماء اجاجا لان مياه

(١) ـ ان قوله بانضمامها الى ترعة الرحمانية خطأ إذ ان انضمام هاتين الترعتين الى بعضها كان عند كفر الحمايدة .

بحـــيرة مريوط التى تمر الترعة على مقربة منها ولا يفصلهما عن بعضهما إلا جسر بسيط ترشح فى جـــوف الارض . وبعد ذلك أقيم من الجانبين حائطان متوازيان مدعمان بأوتاد وحشو زيادة في تمتين هـــذا الجسر وجسر بحيرة المعدية أيضا ولتقليل الرشح . وهـــذا مع ذلك لا يقلل من أهمية ضرورة تجفيف بحيرة مريوط التى تدفع مياهها الريح الغربيـــة فتلتطم بالارض وتأكلها شيئا فشيئا .

والماء الذى ينقص من هـذه البحـــيرة بواسطـة التبخر تعوضه سنويا المياه التى تنحـدر إليها من مياه مديرية البحيرة فى زمن الفيضان . ولقد حاولوا التخلص من هذا المحذور باجراء فتحات واسعة متباعدة تباعدا مناسبا . وهذه الفتحات تتلقى المياه غير اللازمة للرى فى ضواحى دمنهـــور وتصبها فى الترعة . وهذه الاحتياطات لا تفى بالغرض المقصود منها لأن ترعة بنى سلامة (رياح البحـــيرة) التى تتلقى مياه الجيزة تجـــرى فى اتجاه حوش عيسى وتصب مباشرة فى البحيرة بعـد أن تكون روت ارض المديرية العالية .

إن الترعة التى جميع طـــول امتدادها يبلغ ٨٠٢٥٢ مـترا يكاد انحـــدارها لا يشعر به . ومـع ذلك تستدعى الاحـوال إغلاقها بسد شديد المتـــانة فى مـدة الفيضان والا ارتفعت

المياه وعلت الشط وأتلفت بلا نزاع جسور البحيرتين . ويكون من الأفضل الاستعاضة عن هذا السد المكون من تراب تكتنفه اوتاد ، بكبرى حاجز وحوض (هويس) بقرب مدخل المياه . وبذلك يمكن أن يستغنى عن هذا السد الذى يقام ويهدم سنويا فضلا عن الفائدة التى تعود من عدم تعطيل سير المراكب . وفى فترة امتدادها أربعة أشهر تقوم العوائق فى سبيل المواصلات ويضطر الى تفريغ البضائع من المراكب القادمة من القاهرة قبل السد ونقلها بقوة السواعد على مراكب أخرى فى الترعة . والبضائع التى تشحن من الاسكندرية تتعرض لنفس هذه الاجراءات بكيفية عكسية . وهذه الارتباكات تزيد نفقات النقل وينشأ عنها تأخيرات .

وكان فى الامكان من بادىء الأمر اجتناب هذه العوائق لو أن المهندس التركى الذى كلف بنجاز هذه الأشغال لم يبدأ الأعمال بادىء بدء بدون اتباع قواعد الفن إذ أنه لم يهتم بأى عمل تحضيرى بل وجه طائفة من فلاحى الوجه البحرى الى هذه النقطة بدون أن تستحضر الآلات اللازمة لمثل هذه العملية ولم يعمل مخازن للمؤن لتأمين معايشهم فهلك خلق كثيرون من هؤلاء التعساء من العطش

والجـــوع أو من سوء المعاملة وشدة التعب التى لم يتعودوها . والجنود المكلفون بحراستهم لم يدعوا لهم وقتا للراحة وأخذوا فى تشغيلهم من شروق الشمس الى أن يرخى الظلام سدوله .

وكان هؤلاء الفلاحون مكرهين على أن يحفروا الأرض بأيديهم وأن يظلوا فى المـــاء الذى يرشح من كل النواحى . وراح منهم ضحية زهاء ١٢٠٠٠ فلاح فى ظرف عشرة شهور وغطى الشط عظامهم .

والوالى سمى الترعة المحمودية لأنها حفرت فى زمن حـــكم السلطان محمود . اه

(٤) — مذكرة لمسيو لينان باشا

وكتب مسيو لينـــان دى بلفون بك (باشا) Linant de Bellefonds مهندس القناطر الخيرية فى عهد محمد على باشا وفيما بعـــد ناظر الأشغال العمومية مذكرة عن ترعة المحمودية فى كتابه الفرنسى : « مذكرات عن أعمال المرافق العامة الهامة التى تمت فى مصر » طبـــع باريس سنة ١٨٧٢ و ١٨٧٣ من ص ٣٤٨ الى ص ٣٥٥ . وإليك ترجمتها : —

لقد كانت مدينة الاسكندرية فى سنة ١٨١٠ م كما يقـــال

مدينـــة عربية صرفة . وكان النادر من الأوربيـين المشتغلين فيها بالتجارة والقناصل هم وحـــدهم الاجانب . ولم يكن هناك من يفكر فى اقامـــة المنشئات والمصانع وانتشار التجـارة التى أخذت طفرة تنتشر وتتسع اتساعا كبيرا فى عهد حكم محمـــد علـــى . والمواصلات التجارية الداخلية مـع الاسكندرية كانت تجرى بطريق البحر من دمياط أو رشيد . والمسافرون الذين اعتـــادوا السفر الى القاهرة كانوا يأخـذون هـــذا الطريق أو يذهبون برا بامتـداد طول البحـر ويركبون المراكب فى رشيد ليصعـدوا فى النيل . وفى سنة ١٨١٦ وحتى سنة ١٨١٩ كانوا لا يزالون يستعملون هـذا الطريق . غـير أنه منذ بضع سنوات خلت كانوا يشعرون بالحاجة الملحة لتحسين المواصلات .

ولما كان عدد سكان مدينة الاسكندرية أخذ فى النمـــو والازدياد فقـد شعروا بالعـوز الى الماء الحلو . والواقع ان الماء لم يكن يوجد إلا فى بعض الصهاريج التى كانت تتغـــذى فى فصـــل الشتاء بميـــاه الأمطار أو المياه التى يجلبهـــا النيل فى زمن الفيضان السنوى بواسطة ترعة الاسكندرية القديمة وبمجارى تحت الأرض .

وكانت فوهة ترعـة الاسكندرية واقعة فى الرحمانية وتصل الى الاسكندرية ابتداء من زاوية غزال متتبعة تقريبا نفس اتجاه



لينـــــان باشا
ناظـــــر الأشغال العموميـــــة

ترعة المحمودية الآن .

وما زال يرى للآن مواضع كثيرة من حافات هذه الترعة القديمة التى كان عرضها صغيرا وتكاد تكون العناية بصيانتها معدومة وغير صالحة للملاحة مطلقا .

ولم يرد محمد على أن تحصل الاسكندرية على كفايتها من الماء فحسب بل أراد فوق هذا أن تكون كافية لانشاء البساتين والحقول والمزارع فى ضواحى الاسكندرية وعلى ضفاف الترعة . وأراد كذلك ترتيب الملاحة ابتداء من النيل لغاية الاسكندرية بواسطة المراكب الكبيرة .

وللوصول الى هذا الغرض أمر بتنظيم ترعة المحمودية بالحالة التي هى عليها الآن . وسماها ترعة المحمودية باسم مليكه السلطان محمود الجالس على العرش .

ويدهش الانسان لدى فحص رسم هذه الترعة فعوضا عن عن أن يقام مدخل المياه محل نفس مدخل الرحمانية القديم أو موضع آخر أكثر ارتفاعا يرى أنه وضع فى محل أشد انحطاطا حتى عن فوة وان جانبا من هذه الترعة عاد فصعد مجرى النهر لغاية زاوية غزال قرب دمنهور . ويدهش أيضا من كثرة الاعوجاج والانحناء فى تخطيط الترعة .

والترعة القديمة التي كان مأخذها قائما عند الرحمانية كان تخطيطها أيضا مماثلا لترعة المحمودية . فكانت تصعد لغاية قرب مدينة دمنهور وذلك بقصد الابتعاد عن أراضى ملقة دسيا(١) الشديدة الانحطاط والتى كانت ملأى تقريبا دواما بالغدران وهذه الأراضى كانت فى العصور الخالية على ما يحتمل جزءا من بطائح بحيرة ادكو . ومن المحتم ان هذه الترعة كانت تمر على جزء من هذه الأراضى مردوم . وهذا أمر على كل حال فيه ما فيه من الضرر .

والسبب فى عدم اقامة مدخل المياه فى الترعتين القديمة والجديدة فى موضع أبعد جنوبا هو أنه عندما يصعد مدخل الماء فيكون أبعد جنوبا يزيد انحدار الترعة ويحول دون ترك مجراها حرا . وهذه الحالة تستدعى اقامة أهوسة لمرور المراكب وحجز المياه للرى .

والسبب الذى حمل على نقل مدخل المحمودية الى العطف التى هى أحط من فوة هو غالبا أن مدخل الرحمانية كان مسدودا بجزيرة وان الضفة فى هذه الناحية كانت

(١) ـ هى الآن تفتيشا الخزان التابعان لوزارة الأوقاف ولدائرة الأمير عمر طوسون .

مستقيمة الامتـــداد فى مسافة طويلة بينما كان يوجد في المطف كوع شديد الانحناء ودوامات هائلة الأمر الذى أوجب تعميق قاع النهر وأدى الى ارتفاع قليل فى هذا الموضع . وهذا الارتفاع مما يساعد مدخل الترعة .

والسبب عينه الذى جعل الجزء الاول من الترعة القـديمـة يصعد نحو الاتجـــاه الجنوبى الغربى عوضا عن اتجاهـه رأسا نحـــو الغرب هـو أنه لدى تخطيط ترعة المحمـودية عوضا عن أن يراد اجتناب الجـــزء المنخفض من ملقة دسيا اجتنبت الأراضى المنحطة المجـــاورة لبحيرة ادكو التى لم يكن من المستطاع اجتيازها .

أما المنعرجات التى فى الترعة فالبعض منها اقتضته مواقع القرى والبعض الآخر نجم عن غلط محض .

وكان النظام فى الوقت الذى فيـه انجزت أشغال المحمـودية التحضيرية أقـــل كثيرا أيضا مما كان فيما بعد . فلقد كان المهندسون غير حاصلين إلا على قسط صغير جدا من المعارف . وتعرفت بهم بعـــد . وأمـكننى أن أرى كل المصاعب التى لا بد أن يكون قد عاناها مسيو كوست الذى كان وقتئـــذ كبير المهندسين فى هـــذه الأشغال . والمهندسون من ناحية

أخرى لم يكونوا أعلنوا بقرار محمد على إلا وقتما كان العمال قد استعدوا وأخذوا يفدون على ساحات العمل . ولم يكن هنالك وقت للقيام بأى شيء من الاستعدادات . والرأى لم يكن استقر بعد على الرسم . والأوتاد لم تكن غرست فى الأرض . وكان هذا القياس يجرى وقتما حضر جميع العمال وأخذوا فى العمل . ولم يكن حينئذ هناك وقت ليعين لكل واحد المحل الذى يجب أن يشتغل فيه . وكل مأمور قسم أو شيخ قرية كان يصل مع جماعته من العمال الذين لم يكونوا معروفين من قبل . وبما أن المهندسين كانوا لا يعرفونهم اضطروا أن يتركوا كل واحد منهم يعمل فى الموضع الذى يناسبه . وكانوا يحفرون حسبما اتفق وبوجه التقريب فى الاتجاه . ولضم هذه القطع المحفورة بلا روية ولا تعقل بعد ذلك الى بعضها دعت الحالة لخلق زوايا ومنحنيات بقدر ما يستحسن . وهذا هو سبب وجود هذه المنعرجات التى تدق خفاياها عن الفهم .

وكان استحضار الفلاحين للسخرة أمرا سهلا للغاية فى تلك المدة حتى أنه على ما يقول أهالى ذلك العصر جمع للعمل فى هذه الترعة ٣٦٠٠٠٠ فلاح .

وكثير من مأمورى المراكز وكبار المشايخ اشتركوا هم

أنفسهم فى نفقات الرجال الذين استحضروهم ودعت الحالة فى كثير من المواضع الى الحفر فى الطين وفى محال أخرى قريبة من الاسكندرية عثر بالحجر . وتكلف المرور من غوطات بحيرة أبى قير كثيرا من الوقت والنقود ودعت الحالة لاقامة ضفاف الترعة بالردم وحصر جانبيها بين جسرين مبنيين امتدادهما من ١٠ الى ١٢ كيلومترا على أقل تقدير .

وبعد حفر الترعة بزمن طويل كان من اللازم نقل شحنات المراكب عند مأخذ الماء من مركب لآخر إذ لم يكن هناك أهوسة . وهذا ما جعل للمطف أهمية كبرى فأثرى فيها كثيرون .

وقسم الترعة من المطف الى زاوية غزال انطم بالردم أولا فأقيم مأخذ جديد للماء قدامه . وأخذ هذا المدخل يصب ماءه فى ترعة المحمودية ولكن هذا ما لبث أن اعتراه ايضا ما اعترى المأخذ الأول .

والأرض الشاسعة الواسعة المعروفة بملقة دسيا[١] استعملت كذلك لتغذية المحمودية . وكانت هذه الأرض تستخدم فى فصل التحاريق بصفة خزان فكانوا يملئونها بالماء في وقت الفيضان .

---

(١) ـ انظر هامش ملقة دسيا ص ٨٤ .

وهذا الماء يلقى فيها ما فيه من الرواسب . وبعد ذلك يصرفونه رويدا رويدا فى ترعة المحمودية . وملقة دسيا هذه لعبت إذن هنا نفس الدور الذى لعبته فى الأزمنة الخالية بحيرة موريس الكبيرة (فى الفيوم فى زمن الفراعنة) .

وفى سنة ١٨٤٢ م أقيم هويس عند مأخذ مياه المحمودية فى العطف فيه تسير المراكب مطلقة الحرية وأيضا هويس آخر فى مصبها عند البحر فى ميناء الاسكندرية القديم .

ولتغذية الترعة فى زمن التحاريق استعملت ترعة الخطاطبة التى مأخذ مائها في هذا الفصل يعلو ٧٫٨٠ من الامتار عن المحمودية والخطاطبة تستمد الماء رأسا من النيل . وفى استطاعتها أيضا أن تجعل مياه ترعة المحمودية ترتفع الارتفاع اللازم للملاحة .

ولهذه العملية ضرر لا يستهان به . ذلك أن ترعة الخطاطبة هذه تستخدم لرى المديرية . ولسهولة هذا الرى تقام بين مسافة وأخرى سدود من مدر الارض وقش الارز أو حزم الحطب . ومن اللازم فتح هذه السدود بين وقت وآخر لتجرى المياه فى اجزاء الارض الأكثر انحطاطا لتأخذ هذه هى الأخرى نصيبها من هذه المياه . وبما أن من

كانوا يقومون بعملية الفتح لا يكلفون أنفسهم عناء رفع المدر الذي تتكون منه هذه السدود فتقذفه المياه في المحمودية وهذا مع طمى المياه الذى يتكدس على مدى السنين ينشأ عنه ردم الترعة ردما شديدا .

ولقد حدث مرارا كثيرة أن جرى الكلام بصدد ازالة هذا الضرر وتحسين ترعة الخطاطبة ولكن لم يحصل شيء من ذلك . وهذه الترعة مخططة تخطيطا حسنا للغاية وتقريبا بامتداد مستقيم بموازاة النهر لكنها تمتلىء بالردم لأنه يوجد على امتدادها كثير من السدود التى تقام فى زمن الفيضان . وهذه السدود تدعو الضرورة لبقائها خوفا من تدفق المياه بكميات كبيرة فى المديرية وبالاخص فى ترعة المحمودية التى تصب فيها هذه المياه . فمن الواجب أولا بعد تقوية شواطىء وسنادات الخطاطبة تقوية شديدة اقامة سحّارة فى الموضع الذى منه تصل مياه هذه الترعة الى مياه ترعة المحمودية لتمر منها مياه الخطاطبة تحت مياه ترعة المحمودية وتذهب الى بحيرة ادكو وتنصب فيها .

وعند فتح جميع السدود فى وقت الفيضان وبعد زرع الذرة يحدث تيار شديد فيه القوة الكافية لرفع الطمى والرمال الراسبة فى قاع الترعة . وبهذه الوسيلة يتم تطهير مجراها

بطول امتدادها فلا تعطى المحمودية ـ سواء أخذت الطبقة العليا من مياهها التى ليس بها إلا القليل من الطمى أم من فوهتها التى بالعطف ـ إلا القدر الضرورى من الماء . وتصريف ماء الخطاطبة هذا في بحيرة ادكو بواسطة السحّارة له أيضا فوائد جمة . أولا صيد السمك فى البحيرة الذى يأتى بدخل وافر فيزداد دخله وفورة عندما تصب كميات كبيرة من الماء الحلو فى البحيرة لأن السمك يدخل فيها من البحر من مصب ادكو بكثرة ـ وطالما طلب صيادو السمك فى البحيرة وأهالى ضواحيها وألحوا فى طلباتهم زيادة كميات مياه النيل فى البحيرة . ثم أنه مع كرور الأيام ومرور السنين ترتفع أيضا سواحل البحيرة بسبب الطمى الذى يجلب اليها وتصير سواحلها بعد بضع سنين صالحة للزراعة .

وبما أن المياه فى زمن التحاريق تكون مشوبة بالطمى أقل مما تكون فى زمن الفيضان وانحدارها يكون أيضا أقل فلا يوجد أى مانع يحول دون تغذية ترعة المحمودية من ترعة الخطاطبة .

وهناك فقط احتياطات كان من الواجب اتخاذها . وهذه الاحتياطات كثر القال والقيل بشأنها منذ سنين ولكن وقف الأمر عند حد الكلام . والاحتياطات المذكورة هى

مع إقامة سدود عديدة وخاصة من التراب والاستعاضة عنها بسدود صغيرة من البناء والخشب وهذه تكون زهيدة التكاليف عندما تكون صغيرة الحجوم .

وعندما حفرت ترعة المحمودية كانت المزروعات الصيفية فى السنين الأولى لاتكاد تبلغ ٤٠٠٠ فدان ولكن ما أسرع أن زادت هذه المساحة زيادة كبرى لدرجة أن صارت المياه لم تعد تفى بالحاجة فى زمن التحاريق . وفى سنة ١٨٤٩ م كان يوجد على ضفافها ١١٥٤٥ فدانا وكان على الخطاطبة ان تروى هذا القدر من الفدادين وكمية أخرى أكبر منها على شواطئها فى فصل التحاريق فلم تعد المياه كافية لجميع الاحتياجات . والخطاطبة فى هذا الفصل لم تكن تعطى من الماء إلا ما يكفى ٢٠٠٠٠ فدان . أما المحمودية فكانت تنظم على مدار السنين فارسلوا لها كراكات وهذه لم تأت بفائدة ولا عائدة اللهم إلا كثرة النفقات والعمال .

وفى السنة المذكورة طلب الوالى (عباس باشا الأول) عمل مشروع لتغذية ترعة المحمودية . فقدمه إليه مسيو لينان بك الذى كان وقتئذ مديرا عاما للأشغال العمومية وشرع فى تنفيذه .

وركبت الآلات فى المطف . وهى عبارة عن مؤسسة عملت بدقـــة واتقان تام ووضعت باحكام حسن للغاية وأخـذت تدور على ما يرام بمبـاشرة المهندس الذى نيط به ادارتهـــا . ولكن بعد وضع هــذه الآلات انطمت الترعـة . ولأجـل الحصول على القـدر الكافى من المياه فى الترعـة لمرور المراكب فى الأجـــزاء المطمومـة اضطرت الآلات أن تشتغل بـكل ما فيها من قـوة . وهـذا باعث من البواعث الخطـرة . ثم إن المزروعات التى عـلى جانبى الترعـة اخـــذت فى الازدياد زيادة مضطردة . ولم يعـد الآن الأمر قاصرا على ال ١١٥٤٥ فـدانا بل أكثر من عشرين ألفا وبضعـة آلاف . وعـدا ذلك مدينـة الاسكندرية . فهـــذه هى الاخـرى لها حصة فى المـــاء يلزم عمل حسابها . لأن الصهاريج التى كانت حالتها فى الزمن السالف جيـــدة أمست الآن مهجورة ومـتروكة . واذا كان لا سمـح الله يطـرأ خلل فى إحـــدى الآلات فى صميم قلب التحاريق ولم يمكن اصلاحه فهنالك لا تجد الاسكندرية ما يكفيها من المـــاء . أفلم يحتـج الأمر الى المياه فى سنة ١٨٦٩ بل فى سنة ١٨٧٠ وكان ذلك وقتما أخـذت مياه الفيضان فى الارتفاع وحـدث هـذا مع ان الآلات كانت تشتغل على الوجه الأكمـــل .

وكل هذا ناجم من خطأ بيّن . ذلك ان ادارة مياه الترع لم تكن مركزة فى يد واحدة بل فى أياد متعددة . فكان لترعة الاسكندرية رئيس خاص والمدير له رئاسة جانب منها . وترعة الخطاطبة تابعة له فيما يختص بتطهيرها ولكن توزيع مياهها تابع لشخص آخر وهو وكيل الأملاك الخديوية . أما الآلات فهذه تابعة فيما يتعلق بالادارة لناظر المالية فليحكم المرء بعد ذلك ما عساه أن يحدث من جراء هذا التوزيع في إدارة المياه .

وقد انطمت الترعة واستحضرت لها الآلات ولكن هذه لم تأت مع تشغيل عدد أكبر من الخلائق إلا بعشر ما يمكن أن تأتى به فانقطع سير المراكب وصدرت أوامر مشددة تحتم على آلات المطف البخارية أن ترفع أقصى ما يمكن أن ترفعه من الماء . ولكن من الأمور المستغربة والتى لا يسلم بها عقل عاقل أن يحتم مع هذا رئيس المصلحة التابعة له هذه الآلات أن يستعمل للوقود التبن عوضا عن الفحم الأمر الذى أوجب أن لا ترفع تلك الآلات إلا سدس ما كان يمكن أن ترفعه مع أن الاطيان التى تزرع الآن زادت فوق ذلك زيادة كبيرة .

ان ترعة الخطاطبة كانت حفرت وكان بها كثير من

المـــاء ولم يحدث شيء من المدير يستوجب اللـوم . ولكن المـيـــاه لم تصل الى المحمودية والخطاطبة كانت مغلقة بسدود في جمـــلة مواضع لرى القطن إلا أن مراقب هذه الزراعة كان ينكر ذلك بتاتا مع أنه أمر واقـــع وحقيقى . وسواء أكان هـــذا أم ذاك فان الاسكندرية لم يكن بها ما يكفيها من المـاء فى سنة ١٨٦٩ . وكذلك كان الحال فى السنة التالية .

ورغم هـــذه المحن كان أيضا نزداد صرف المياه وذلك على ما يحتمل بدون حدوث أى تغيـــير فى الايراد . وإذا تم تطهـــير ترعة المحمودية فهذا التطهير لا يتـأتى منه زيادة فى كمية الماء بل يسهل فقط المـــلاحة تسهيلا عظيما . ومـــع ذلك فقد شرع فى تركيب آلة بخارية على ترعة المحمودية لتغذية ناحية الرمل بالماء وذلك بدون اتخاذ أى احتياط لتزويد المحمـودية بزيادة المياه التى هى فى حاجة شديدة إليها .

وهنـا كان لا بد من زيادة التروى وإعمال الفكر إذ ربمـــا تحرم مدينة الاسـكندرية من جزء من الماء الذى هو لها من الضروريات . وتقف الملاحـــة ويتعـذر توزيع الماء على ناحيـة الرمـل ولا تجد الاراضى الواقعة على شاطىء المحمودية الماء الذى تحتاج اليه . فيلزم لذلك التفكير فى مضاعفة آلات التغذية وبناء سحارة تحت ترعة المحمودية . اه

وثائق دار المحفوظات المصرية الملكية عن حفر ترعة المحمودية

(١)

ترجمة خطاب تركى الى احمد كاشف ناظر بلاد الأرز برشيد فى ١١ شوال سنة ١٢٣٣ هـ (١٤ أغسطس سنة ١٨١٨ م)

مقيد بالدفتر رقم ٣ صفحة ٣

قد انتدبنا حضرة صاحب السعادة الخازندار بك مأمورا لعملية حفر الترعة الأشرفية بمقتضى التصميم والمعدل السابق عمله . لكن حيث أن وصوله للترعة المذكورة وعمل كشف وتحقيق وافادته لنا عن ذلك يتوقف على عشرة أيام يلزم أن تفيدونا سريعا بعد الاتفاق مع من يلزم من أرباب الفن والمعرفة عما اذا كان يمكن اجراء عملية الحفر فى عموم أماكن الترعة حسب المعدل المذكور . أو الاكتفاء بحفر بعض الجهات العالية وترك المنخفض منها لوقت آخر الى حين جفاف المياه منها . كل هذه الدقائق يجب بحثها ومعرفتها وافادتنا بالمطلوب .

(٢)

ترجمة الوثيقة التركية الصادرة من الجناب الخديوى
الى حضرة محمود بك خازن ولى النعم

بتاريخ ٩ ذى القعدة سنة ١٢٣٣ — ١٠ سبتمبر سنة ١٨١٨
رقم ٤٧ ص ٦ دفتر ٣ معية تركى

لقد ذكرتم فى عريضتكم التى شاركـكم فى تحريرها حسن بك حاكم البحيرة وعمر بك حاكم المنوفية ومحمد أغا كاشف الغربية وغيرهم وهى العريضة المرسلة الينا مع الحاج عثمان أغا أمين جمرك الاسكندرية انكم بعد ما استصحبتم أحمد الكاشف والحاج يوسف فى ذهابكم من قرية العطف الى السد(١) واستصحبتم الحاج عثمان أغا فى ايابكم من السد الى قرية العطف مشاهدين فى أثناء ذلك جميع الأماكن المصمم حفرها لم تلبثوا أن عبرتم الى فوة حيث عقدتم مع الموما

(١) ـ هو النقطة التي قطع فيها الجيش الانكليزي جسري ترعة المحمودية في الكيلو ٦٣ في سنة ١٨٠١ لعزل الجيش الفرنسى الذي كان بالاسكندرية عن الجيش الفرنسى الذى كان بالقاهرة .

اليهم مجلسا استقر رأيه على تقسيم العمـــل بحيث تلقى الأماكن المزمع حفرها من السد لغاية مينـــاء الكافر (كاور ليمانى)[١] على عـاتق البحيرة والمنوفيـة والغربية وتوزع الأماكن الباقية على سائر الاقـــاليم تبعا لمقتضى الحال كما أشعرتمونا فى عريضتكم المذكورة بما هـو جار من احضار الادوات الـلازمـــة الى حيث تجمـــع فى مخزن قريـــة المعطف وبأنه لن يمضى شهران حتى تكون مهمـة الحفر قد بلغت تمامـــها وختامها بفضل الله تعالى .

فاعلموا أننا باطلاعنا على هـــذا الذى كتبتموه وعلى الانباء التى شافهنـــا بها الحاج عثمان أغا قد أحطنا علما بجميـــع الأمور فانشرحنا غاية الانشراح وسررنا غـــاية السرور وان مشروع هـــذه الترعة وان يكن - كما لايخفى على أحـد - من المشاريع الكبرى والمصالح العظمى فان المأمـــول من الالطاف الالهيـــة - على حـد قولكم أن يتيسر له قريبا حسن الختام على وجـــه السهولة إذا تضافرت همم ذوى الغيرة من رجالنا المخلصين على مباشرة حفـــره والقيام بتنظيم أمره وانى بمقتضى ما فطـــرتم عليه من شيمة الحميـــة والدراية وما ركب فى جبلتكم من جـوهـر الاصلاح والكفاية لأهيب

(١) - يقصد ميناء الافرنج أي الميناء الغربية .

بكم أن تحسنوا رعاية الشروط التى اتفقتم مع الحكام السالفى الذكر على تنفيذها والسير بموجبها مشمرين فى سبيل هذا العمل الخيرى عن ساق الجد والاهتمام ومقبلين عليه أتم اقبال واقدام حتى يقترن فى المدة الموعودة بالختام وحسن النظام .

هذا ونطالبكم أن تحرصوا على الكتابة الينا حينا بعد حين منبئين عن حقيقة الحال ومبينين الصورة التى بلغتها الأعمال .

(٣)

ترجمة المكاتبة التركية الصادرة من الجناب الخديوى
الى خازنه حضرة محمود بك
بتاريخ ٢٩ ذى القعدة سنة ١٢٣٣ — ٣٠ سبتمبر سنة ١٨١٨
رقم ٨١ ص ١٠ دفتر رقم ٣ معية تركى

اطلعت على كتابكم الوارد أخيرا مع شاكر افندى المهندس والمفهوم من كتب التاريخ ان حضرة الاسكندر كان أول من عنى بالترعة المطلوب الآن حفرها وتطهيرها إذ احتفرها بمشورة من كان فى حاشيته من حكماء اليونان على طريقة موافقة لقانون علم الطبيعة . ثم آلت حكومة مصر

بعــد ذلك الى أيدى الاكراد وكان اكثرهم من ذوى الهمة وحسن السعي فضـلا عن وفرة من كان فى خدمتهم من أولى المعرفة والفن فجدد السلطان الاشرف رحمــه الله هذه الترعة وأحيـاها على وضعها القــديم بحيث اتخذت فى زمن ما سبيلا للذهاب والاياب . فهاتان الدولتـان قد دلهما طول الوقت الذى وليتا فيـه الأمر كما دلتهما تجربتهما لاكثر الأشياء المتعلقة بالنافع والضار من الشؤون على استعمال الترعــة المذكورة وتسخيرها بالكيفية التى لا نزال عليها الى يومنا هذا على حين مضى منا الوقت فى معالجــة مشاغل أخرى فلم نظفر فى هذا الشأن كما ظفرتا به من التجربة والاختبار ومن ثم لم تكن لنا منــدوحة عن سلوك سبيلها واقتفاء أثرهمــا بحفر هذه الترعة وتطهيرها وفقا لوضعها القــديم على أن نراعى آخر الأمر أن يكون مصبها فى البحر الملــح من جنب مينــاء الافرنج بحيث لو فتحنا لهـــا هناك منفذا عـلى شيء من العلو لم يبق ريب في ملاءمة موضعها وجمال موقعها .

فعليكم إذن بالدقة والاجتهاد فى انجاز هذه العملية مع اتباع ما هو معلوم فى هذا الصدد من أمرنا وارادتنا .

(٤)

ترجمة المكاتبة التركية الصادرة من اسماعيل
الى ولى النعم
بتاريخ ٢٩ جمادى الاولى سنة ١٢٣٤ — ٢٦ مارس سنة ١٨١٩
رقم ٥٧ محفظة ٦ بحر برا

صدر أمر ولى النعم بسفرنا من الاسكندرية الى العطف وامتثالا لأمر دولتكم سافرنا (خادمكم كاتب هذه السطور وخادمكم عثمان أغا والمهندسون الأجانب) معا فتشاورنا كلنا جيدا بمشاركة المثنى عليكم احمد الكاشف ثم سألنا المهندسين الأجانب : هل تستطيعون أن تدلوا الينا ببيان عن القياس الذى سيعمل هذه المرة ؟ فردوا علينا : نبدأ القياس من العطف ونذهب الى الاسكندرية فاذا استيقنا هناك فى الاسكندرية بصحة القياس فحينئذ نستطيع أن ندلى ببيان . وإن عرضت لنا شبهة فلا بد أن نقيس مرة أخرى من الاسكندرية الى العطف وبعد ذلك نجاوبكم . ثم سألناهم : فى كم يوم تنهون عملية القياس ؟ فردوا : ننهيها فى ستة عشر يوما . قلنا لهم : ليشارككم فى عملية

القيـــاس سيد احمد أحد المهندسين الوطنيين (أبناء البـــلد) . فقالوا : « نحن لا نستسيغ هـــذا لأنفسنا فانه بمثابة تلميذنا ثم ان افنـدينا تفضل فأمرنا بأن نقيس مع شاكر افنـدى فلا نقيس الآن مع سيد احمد افنـدى وحيث أن شاكر افنـدى سافر الى مصر فنقيس نحن وحدنا » . وكان خادمكـم محمد الكاشف كاشف الغربية وعلى الكاشف كاشف الشرقيـة حاضرين بالمجلس ولما سمعا منهم هـذا الجواب قالا : « يمكننا أن ننهى كثيرا من أشغالنا فى مدة الستة عشر يومـــا فكيف نبقى الفلاحين الذين فرغوا من اعمـــالهم مع العلم بأن موسم الزرع قريب » . وإزاء هـذا لم يستطع المهندسون أن يعطوا جـــوابا قاطعا مما أوقعنا جميعا فى الحيرة وحينئذ قلنا نحن عبيـدكم للكاشفين : اعطوا الاذن طبقا للقياس المختـــوم . ثم سألنا المهندسين الأجانب : هـل يحتاج الأمر الى الحفـــر أعمق من هذا ؟ فأجابوا : لا حاجة لذلك ومع ذلك لا نقطع بشىء . وحينئذ قال خادمكم كاتب هذه السطور بكل متانة : احفروا طبقا للمعـدل المختوم . هذا وقد عرضت على أعتـــاب دولتكم فى طى عريضتى أسماء القـــرى التى انتهى فيها الحفر . وأخـــيرا الأمر بيد مولاى حضرة صاحب الدولة والعناية والمرحمة ولى النعماء .

العبـد

اسماعيل

(ملاحظة) — يوجد فى ظهر هـــذه الوثيقة ما معربه : من افندينا اسماعيل باشا[١] فى ٥ جمادى الآخرة سنة ١٢٣٤ ـ أول أبريل سنة ١٨١٩ .

(٥)

ترجمة خطاب تركى من سمو الوالى الى ناظر بلاد الأرز بيرمبال
فى ١٩ ربيع الأول سنة ١٢٣٤ — ١٦ يناير سنة ١٨١٩
مقيد بالدفتر رقم ٣ ص ١٩

لمناسبة الشروع فى عمليـــة حفر الترعـة الاشرفيـة ولزوم بنـــاء بعض جسور بالطـــوب يلزم تدارك عشرة آلاف حمل حطب من البـــلاد التابعة لكم وارسالها ووضعها على الجسور لعملية حرق الطوب .

(٦)

ترجـــة خطاب تركى من سمـــو الوالى
الى محمد افندى ناظر الارز برشيد
فى ١٩ ربيع الأول سنة ١٢٣٤ — ١٦ يناير سنة ١٨١٩
مقيد بالدفتر رقم ٣ ص ١٩

(١) ـ هو اسماعيل باشا كامل ثالث أنجال محمد على باشا .

لأجل المبانى اللازمة فى بعض الاماكن بالترعة الأشرفية الجارى مباشرة العمل بها الآن يلزم تدارك أربعين ثورا من الثيران غير الصالحة بدوائر رشيد لعملية نقل الطوب للجهات اللازمة وتسليمها الى احمد كاشف ناظر بلاد الارز برشيد .

(٧)

ترجمة خطاب تركى من سمو الوالى الى حاكم المنوفية عمر بك
فى ١٩ ربيع الاول سنة ١٢٣٤ — ١٦ يناير سنة ١٨١٩
مقيد بالدفتر رقم ٣ ص ٢٠

مع سابق علمكم باتفاقنا واهتمامنا جميعا بحفر وتعمير الترعة الأشرفية الجارى العمل بها الآن لم تحضروا لمباشرة عملكم مع أنى كنت سررت عندما اطلعت على الخطاب الوارد منكم لعثمان أغا امين الجمرك من وعدكم له بالحضور فى أول ربيع مع رجالكم لمباشرة ما خصكم من هذا العمل الخيرى . واليوم ١٩ ربيع الأول ولم يظهر أثر لحضوركم أو أى خبر عن حضوركم . وحيث أن مثل هذه الخدمة الخيرية لايتم عملها بالكلام فبمجرد وصول خطابى هذا

اليكم أسرعوا بجمع رجال العمـــل واحضروا معهـم وباشروا مأموريتكم فى الحصة الخاصة بكم حسب الاتفاق السابق علمه .

(٨)

ترجمة خطاب تركى من سمو الوالى الى الكتخدا(١) بك
فى ١٩ ربيع الاول سنة ١٢٣٤ — ١٦ يناير سنة ١٨١٩
مقيد بالدفتر رقم ٣ ص ٢٠

بما أن الادوات والأشياء اللازم تداركها لعملية الحفر بالترعة الأشرفية تعملون الآن على تداركها وتجهيزها فلابد من وجـــود أحد المهندسين الماهرين لمراقبة العمل مثل احمـــد افندى (خريج المهندسخانة) أو شاكر افندى ناظر ورشة الحدادة وذلك بعد الاتفاق والمذاكرة مع محمود بك الخازندار . وبعد التأكد من لزوم ذلك أسرعوا بتعيينه وارساله فى الحـــال والبحث أيضا عن أوسطى ماهر يكون له إلمام بفن بناء الارصفة وارساله وملاحظة ارسال كل ما هو لازم لهـذه العملية حسب الترتيب السابق عمله .

---

(١) ـ الكتخدا كلمة تركية معناها : رئيس الحكومة .

(٩)

ترجمة خطاب تركى من سمو الوالى الى كاشف الغربيـــة
وقد أرسلت صورته الى حاكم المنوفية عمر بك وكاشف المنصورة
محمد أغا وكاشف الشرقية على أغا وكاشف القليوبية تيمور أغا
وكاشف الجيزة ابراهيم أغا

بتاريخ غرة ربيع الآخر سنة ١٢٣٤ — ٢٨ يناير سنة ١٨١٩
مقيد بالدفتر رقم ٣ ص ٢٢

لحلول موعد حفر الترعة الأشرفية التى قصد من حفرها نفع العباد وعمار البلاد أسرعوا بجمع الأنفار الخاصة بهذا العمل واحضروا معهم فى أقرب فرصة ممكنة لمباشرة العمل الذى بدىء به منذ أيام مع ملاحظة أن يكون حضوركم من طرق وسكك خالية من الزراعة لأنى لا أرغب حصول أى ضرر أو تلف لزراعة أو مواشى أو ممتلكات الناس .

(١٠)

ترجمة خطاب تركى من سمو الوالى الى ناظر المحمودية
اسماعيل باشا حضرتلرى
فى ٥ جمادى الآخرة سنة ١٢٣٤ — أول أبريل سنة ١٨١٩
مقيد بالدفتر رقم ٣ ص ٢٥

اطلعت على الخطاب الوارد منكم عن كيفية إلباس الخلع لبعض مشايخ قرى الشرقية بمناسبة انتهاء العمل المخصص لهم فى عملية حفر الترعة وعودتهم لقراهم والمشعر بحسن غيرة الحكام كما اطلعت على دفتر إلباس الخلع . وقد طلبتم أن نرسل
عدد ٤ أكراك من صنف عال لأجل إلباس أخى كاشف الشرقية واحدا منها والباقية لسائر المقتضى خلعها عليهم . وطلبتم أيضا
عدد ٢٥ (كبودا أحمر بشمسية) لأجل إلباس من يلزم من بعض القائمقامية الموجودين . وها هو مرسل اليكم ٢٠ (كبودا أحمر بشمسية) لاجراء اللازم نحو خياطتها عندكم وتوزيعها على أربابها لدى الاقتضاء فلا يصح لمن يراد إلباسه الكرك أو الكبود الاكتفاء بالنظر الى منظره الظاهرى فقط بل العلم بعدد التذاكر التى يحملها ومعرفة دخله من الايراد .

وبعد ذلك يصير الباسه الخلعة باعتبار الرتبة . ولهذه المناسبة ترون انكم لو ألبستم أخا على كاشف الشرقية الكرك وتركتم أمثاله وهم كثيرون وكذلك المتقدمين عنه بدون الباسهم الخلع مثله تكون النتيجة كسراً لخواطرهم . وكذلك مسألة الباس الكبود فمثلا لو اردتم الباس قائمقام من الحاملين لعشر تذاكر كبودا أحمر بشمسية وتركتم من هم أرقى منه من الحاملين لعدد ٢٠ أو ٤٠ أو ٦٠ تذكرة فماذا تكون النتيجة غير كسر قلوبهم . فاللازم ياولدى مراعاة درجات الرتب أولا لمن يراد الباسه الخلع وبعد ذلك يصير الباسهم وذلك فى صالح المصلحة فبادروا باتباع ما جاء بخطابى هذا ؟

(١١)

ترجمة المكاتبة التركية الصادرة من محمد نجيب[١]
الى ولى النعم[٢]
بتاريخ ١٧ رمضان سنة ١٢٣٤ — ١٠ يوليو سنة ١٨١٩
رقم ٩٧ محفظة ٦ بحر برا

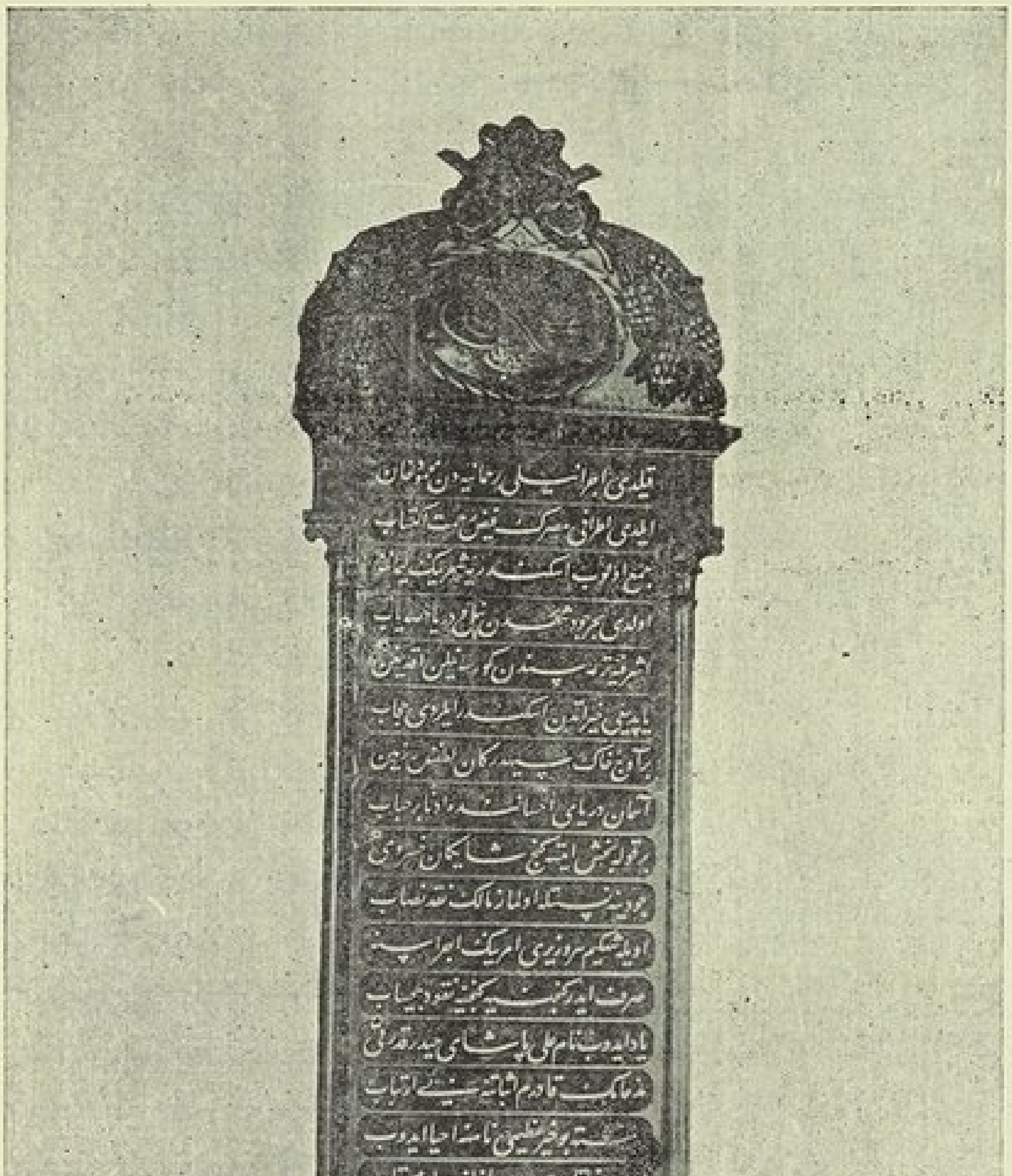
---

(١) ـ هو وكيل محمد على باشا بالآستانة العلية .
(٢) ـ أي محمد على باشا .

مولاى صاحب الدولة والابهة ولى نعمتى المطبوع على الاحسان

ان اغتباط عبدكم حضرة صاحب العطوفة البك قهوجى باشى الحضرة السلطانية بما حبوتموه به يا مولاى من آثار الاكرام واللطف والعطف وبما تفضلتم باظهاره نحو الذات الشريفة الملكية من كمال الاخلاص وصدق العبودية ليجل عن التعريف والتقرير وان ما أداه حضرته فى حق دولتكم من حسن الشهادة ليفوق كل وصف وتقدير بحيث أرانى يامولاى عاجزا عن رواية عباراته وتبليغ رفيع آياته . والواقع انه وإن يكن أهلا من وجوه كثيرة للرعاية والاكرام ممتازا عن الانداد والاقران فان ما ناله من لطف مولاى وعطفه لم يكن مما عهد له نظيرا من قبل وانما كان شيئا جديرا بما اختص به شخصكم المنعم متناسبا وما تفردتم به من مناقب الكرم إذ تفضلتم فأفسحتم له محافل الوفادة والحفاوة وخفضتم له جناح الرعاية والعناية أسبغ الله على ذاتكم كامل العافية والصحة وأطال عمركم واقبالكم وأنعم على دولتكم بالفيض والبركة آمين بحق النبى الأمين .

ولقد أذن لى فقابلت البك المومأ إليه مرتين قضينا فى كل منهما ساعة أو ساعتين من الوقت فى المدح والدعاء



لوح التاريخ التذكارى لحفر ترعة المحمودية

المقام عند فمهـــا بقرية العطف

الترجمة النثرية لأبيـــات الشعر التركية

التى على لوح التاريخ التذكارى لحفر ترعة المحمودية بقرية العطف

قد أجرى السلطان محمود خان النيل من الرحمانية الى الاسكندرية .
فياله من خير عميم اكتسبت به مصر فيض الرحمة !
وبذلك نال البحر والنيل نصيبهما من بحر جود هذا السلطان الاعظم .
ولو رأى الاسكندر هذا الصنيع لحمده وأثنى على مسديه .
ولاعترف بأن لطائف هـذا السلطان الأعظم التى أحيت موات هذه الأرض وجعلتها وهى حفنة من التراب تعطى كل هذا الخير .
وان السماء مهما جادت على الارض بصيبها المدرار لا تساوى إلا صبابة حقيرة من بحر إحسانه .
ولو منح عبد كنز خسرو الزاخر لما بلغ عشر معشار جوده .
فلله هو من ملك يبذل كل وزير من وزرائه كنوز الاموال فى سبيل تنفيذ أمره !
وان حجتي التى أثبت بها دعواى هى ذكر اسم محمد على باشا ذى القدرة الحيدرية .
فها هوذا قد قام بهذا الخير العميم باسم ملك العالم الذى جلب له دعاء مستجابا .
ان ذلك الملك هو بحر الهمة فليكن مطمئنا ،
وليكن أعداؤه الشبيهة بالموجات الحقيرة فى اضطراب .
من أجل ذلك قلت (أنا عزت[1]) : تاريخها الشبيه بالجوهر :
فتح محمود خان فتحا عظيما بأن جعل للنيل فرعا كريما.

١٢٣٤

---

(١) ـ هو الشاعر التركى عزت ملاّ افندى ناظم أبيات الشعر التركية التي على لوحى التاريخ التذكاري لحفر ترعة المحمودية وقد توفى سنة ١٨٢٩ م .

لدولتكم فضلا عن أنه أقسم لى بالله أنه لا يفتأ يلتمس المناسبات فيذكر كل يوم مآثر دولتكم بين يدى مولانا السلطان روح العالم وانه كلما فعل ذلك ازداد حسن نظر الحضرة الملكية الى دولتكم مما ستتفضلون بمعرفة تفصيله من مضمون عريضته الخصوصية .

هذا وانى كنت قدمت الى عتباتكم أجوبتى عن أوامر دولتكم الواردة مع عبدكم (سليم) ساعى البريد . أما الأمران اللذان وردا الىّ أخيرا فان احدهما يتضمن طلب الاشعار بما تتعلق به ارادة الدولة العلية فى أمر عبدالله وأقاربه وأتباعه الذين حضروا وما زالوا يحضرون الى مصر وهم زهاء خمسمائة أو ستمائة نسمة . ويتضمن الآخر لزوم قبول الحكومة السعر الرائج للبن والأرز اللذين سيرسلان محسوبا ثمنهما من أقساط الخراج المقرر تقديمها الى الضربخانة العامرة (باستامبول) ما دام سك النقود الصغيرة فى ضربخانة مصر قد أمر بمنعه وكف عنه كما يتضمن طائفة من التفصيلات عن نقود مصر وكيف انها لم يطرأ عليها أى تبديل أو تغيير بل بقيت الى الآن على الوجه الذى نظمت عليه أيام يوسف ضيا باشا . وقد قدمت كلا الأمرين والدفتر أيضا الي الباب العالى الذى حرصت على تفهيمه المراد شفويا

بقدر ما وسعه بيانى ولسانى فان أكن الى الآن لم أتلق منه أى جواب فانى عندما تتعلق الارادة بشيء في موضوعها سأبادر الى تقديم الجواب على جناح السرعة .

وأما الترعة التى وفقتم الى حفرها من جديد فانه لما كان التبرع بها للجناب الملكي قد اقتضى تفضلكم بايصاء عبدكم البك السالف الذكر أن ينظم لها حجرين تذكاريين منقوشا عليها تاريخها ومزدانين باسم الحضرة السلطانية الكريم فان تنظيم الحجرين والتاريخ قد حولا بأمر جلالته على عهدة عبدكم بعدما ذكر لى ان البك الموما اليه قد أفضى بالموضوع الى العتبات السنية فكان هذا باعثا على كمال ارتياح الحضرة السلطانية ولذلك فسيقدم الحجران المذكوران متى تم تنظيمها وتنميقها .

هذا ما وجب عرضه رجاء ان يتفضل ولى النعمة بالاحاطة به وعلى كل حال فالأمر والتدبير لمن بيده مقاليد الامور ؟

ختم

محمد نجيب

(١٢)

ترجمة المكاتبة التركية رقم ٧١ الصادرة من سمو الوالى
الى نجيب افندى
بتاريخ ١٥ ذى الحجة سنة ١٢٣٤ — ٤ أكتوبر سنة ١٨١٩
والمقيدة بالدفتر رقم ٤

بناء على التماسى السابق وضع تاريخ معنون بالطغراء السلطانية فى مبدأ الترعة التى أحييت وفى منتهاها — كان أحيل الى صاحب المطوفة حضرة الاغا قهوجى باشى الاستئذان فى ذلك من الطرف الهمايونى وقد وصلت فى هذه المرة شقتكم المبينة لارسال صورة ما أنشأه صاحب الفضيلة عزت ملاّ افندى من التاريخين المعروضين على الانظار الهمايونية وأنهما اقترنا بالاجابة والاستصواب وأحاط علمنا وشمل اطلاعنا بمضمونهما وبمآل التاريخين بيد أن الترعة المجراة من حيث انها من آثار الاسكندر والملك الاشرف قايتباى من ملوك الأسلاف وانها من عظائم الامور الدنيوية ومن الاشياء التى لم يسبق لها مثيل فى الربع المسكون ولم تكن من الآثار التى ينسب إحياؤها وإجراؤها الى هذا

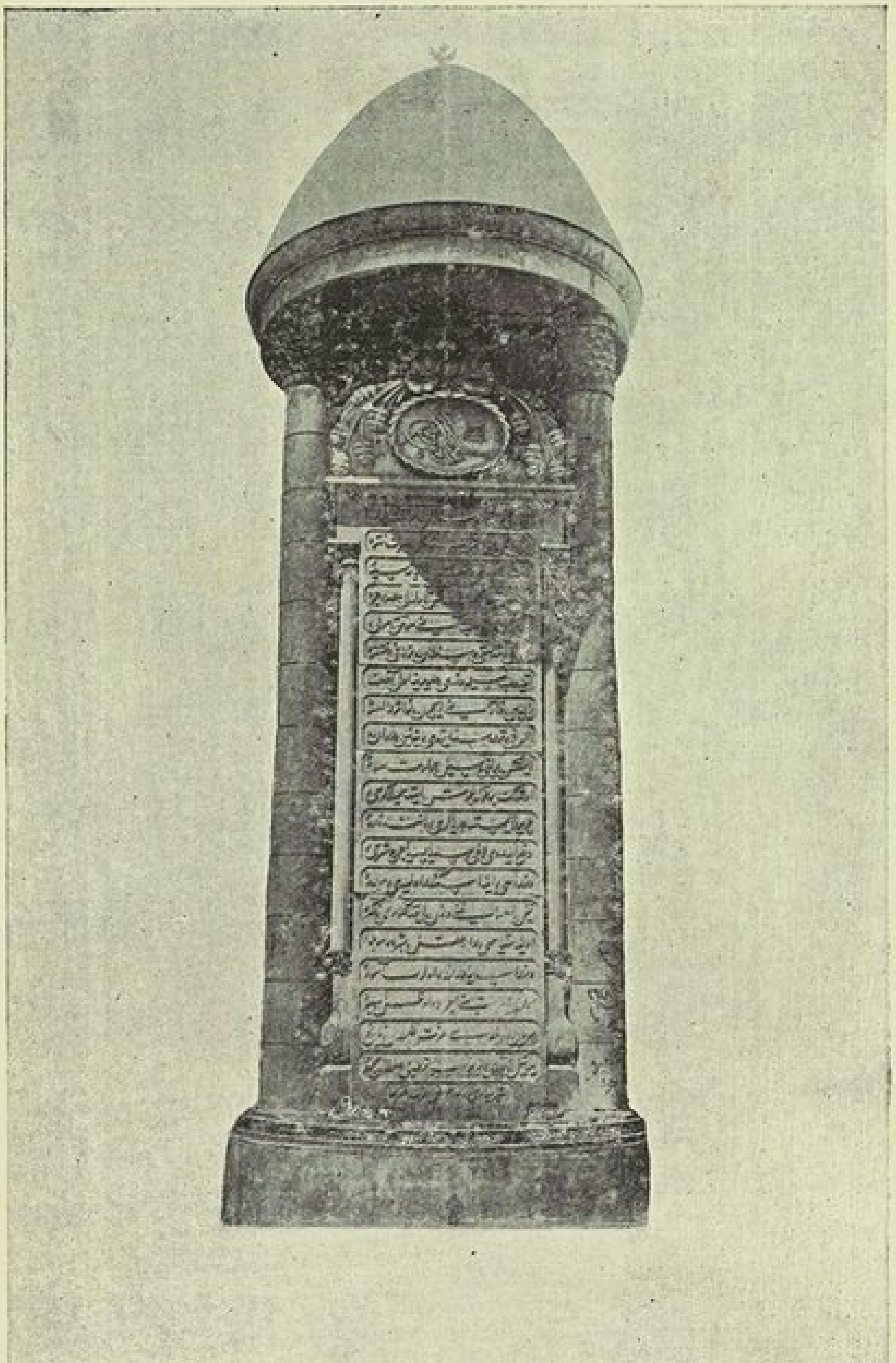
المواظب على الثناء ولا هى من المواد التى تقبل تلك التسمية فعلى ذلك لايلزم ذكر اسم هذا المثنى فى التاريخ . وحيث ان هذا الأثر الخيرى إنما خرج الى حيز الوجود بمحض ثمرة العناية الملكية من حضرة مولانا وولى نعمتنا صاحب الشوكة والقدرة والمهابة والعظمة سلطان العالم وملك ملوك الأمم وما حصل إلا ببركات الهمم السنية السلطانية فالتماس المثنى عليكم يتلخص في تنظيم تاريخين على عمودى حجر رخام وترسم أعلاهما بالطغراء السلطانية المزينة للعالم وصرف الروية لشأن إرسالهما بعد الحك والترسيم على الوجه المحرر لدى اقتران ذلك بالتجوز ؟

(١٣)

ترجمة المكاتبة التركية الصادرة من محمود(١)
الى ولى النعم(٢)
بتاريخ ٢٧ محرم سنة ١٢٣٥ — ١٥ نوفمبر سنة ١٨١٩
رقم ٢ محفظة رقم ٧ بحر برا

(١) ـ هو محمود بك الارنؤوطى كتخدا الوالى وقد خلف محمد بك لاظ أوغلى فى الكتخدائية ونظارة الجهادية .

(٢) ـ المقصود بولى النعم هنا ابراهيم باشا .



لوح التاريخ التذكارى لحفر ترعة المحمودية
المقام عند مصبها فى القبارى بالاسكندرية

الترجمة النثرية لأبيـــات الشعر التركية

التي على لوح التاريخ التذكاري لحفر ترعة المحمودية بالاسكندرية

خليق بالعبد محمد على باشا ان يبذل فى سبيل مولاه
سلطان العالم - روحه لا ماله فقط ،
فان قوته القاهرة مستمدة من همته الملكية ،
ولم يأت له مثيل منذ أن خلقت مصر (حاضرة) العالم .
فكم من آثار وفقـــــه المولى لها ،
حتى لقد أرضى بخدمته ملك الزمان .
ولقد أسال هذا الوزر اللجين والنضار فى سبيل هذه الخدمة بدلا من الماء ،
وأنشأ لاجل مليكه أثرا جديدا نافعا للعالم ،
فأجرى النيل مرة أخرى ،
كما كان يجرى سابقا فى الترعة الاشرفية .
ولا عجب فلو فاض كرم هذا الملك على احد عبيده ،
لجعل الترعة بحرا اذا شاء .
ولو كان اسكندر في عداد وزرائه ،
لدفع شر يأجوج بدون حاجة الى إقامة السد .
لقد فاق العالم حتى لا يخطر بالفكر وزن نيل إحسانه ،
وأصبح بحيث لا يوجد ما يقاس به .
فليكن الوزراء فى ظل عدله في طمأنينة ،
وليستمر ذلك الملك ظل الله فى أرضه مجريا لجميع أوامره .
وقد نطق عزت مؤرخا هذا الحادث العظيم بقوله :
جرى النيل مرة أخرى بالترعة التى أنشأها السلطان محمود .
١٢٣٤
الفقير يساري(١) زاده مصطفى عزت غفر لها

(١) - هو كاتب الاشعار التركية التى على لوحى التـاريخ التذكارى لحفر ترعة المحمودية وقد توفى سنة ١٨٤٩ م .

سيدى حضرة صاحب الدولة والعنـــاية والعطوفة والابهـة والرأفة ولى النعم وفير الهمم

كنتم تفضلتم وأمرتم فى كتابيكم الواردين من قبـــل بما أن الفلاحين المستخدمين فى الترعة قـــد حل موسم زراعتهم وأعياهم العمل وفضلا عن ذلك لاينتظر أن يتم الليمان (الميناء) أيضا الى آخـر المحرم الحرام فيقام أمام الليمان ســـد قوى محكم وجسر وتروى الاسكندرية ويمنح الفـــلاحون أجازة في آخر الشهر المذكور ولـكن خادمكم لم يجرؤ على منح الفلاحين اجازة . وكنت اقـترحت أن يمنح نصفهم اجازة بشرط أن يتعهـــد الاسكندرانيون باتمـــام الليمان لغاية عشرين من الشهر القـــادم تاركا البت فيه الى رأى دولتـكم على ان استأذن فى ذلك ايضا من ولى النعم[1] لدى تشريفه واكتب اليـــكم الامر الذى أتلقاه من دولتـه . وقد شرف مصر افنـــدينا ولى النعم المشار اليه مصحوبا بالعـــز والاقبال في هـــذا اليوم السعيد أعنى به السادس والعشرين من شهر محرم الموافق يوم الاحد بعـــد العصر فعرضت على دولته أمريكم الكريـــين فتفضل وأصدر

---

(١) ـ المقصود بولى النعم هنا محمد على باشا .

أمره العالى قائلا إن رأى ولدنا الباشا مناسب فليقم أمام الليمان سد قوى محكم وجسر وليمنح الفلاحون أجازة فى آخر المحرم . وعليه إذا منح الفلاحون أجازة فى آخر المحرم طبقا للارادة العلية وشرع من الآن فى انشاء السد القوى المحكم والجسر أمام الليمان فبها ونعمت وإلا فليتفضل بالشروع فى انشائه وبذل الهمة بشأن رى الاسكندرية . ولافادة ذلك قدمت هذه العريضة ومتى تشرفت بالوصول ان شاء الله تعالى وتفضلتم وأحطتم علما بما فيها فالأمر فيها بيد حضرة من له الأمر والاحسان ؟

العبد

محمود

(١٤)

ترجمة المكاتبة التركية الصادرة من محمود الى ولى النعم
بتاريخ غرة صفر سنة ١٢٣٥ — ١٩ نوفمبر سنة ١٨١٩
رقم ٣ محفظة رقم ٧ بحر برا

سيدى حضرة صاحب الدولة والعناية والعطوفة والأبهة ولى النعم وفير الكرم .

لما تفضلتم وأشعرتمونى فى كتابكم السابق بشأن منح الاجازة

فى آخر محرم للفلاحين المستخدمين فى الترعة بناء على حلول موسم الزراعة كنت اقترحت منح الاجازة لنصفهم وتشغيل النصف الباقى فى الميناء كما كان وبعد ذلك استأذنت بشأن هذه المسألة من حضرة صاحب الدولة أفندينا ولى النعم لدى تشريفه مصر فأمر بمنح الاجازة للفلاحين كلهم فى آخر الشهر المذكور واقامة سد قوى محكم وجسر أمام الالمان فكنت قدمت الى دولتكم عريضة أخرى اشعركم بهذا الامر . واذا كنتم دولتكم قد أبقيتم طبقا لتقريرنا السابق عدة أنفار من الفلاحين على أن يستخدموا فى بناء الجسر ومنحتم الباقين اجازة فارادة ولى النعم تقضى بأن يعطى من أبقى منهم شوربة صبح مساء نظرا لأن الوقت الحاضر فصل الشتاء . وأما صنع الشوربة من الارز أو الدشيش لوجوده بكثرة فى رشيد فهو محول الى رأيكم العالى وعلى كل حال فتعنون باعطاء الشوربة للفلاحين المذكورين صبح مساء . هذا على تقدير ابقاء عدد منهم . وأما إذا منحتم الكل أجازة طبقا للاشعار الثانى فلا بأس أيضا فى ذلك . وانى انتهزت افادة ما ذكر فرصة لعرض اخلاصى وعبوديتى لكم والامر فيه لسيدى حضرة من له الاحسان ؟

ختم — العبد

بحقك يامعبود — محمود

أنل مراد محمود

(١٥)

ترجمة المكاتبة التركية الصادرة من محمود
الى ولى النعم
بتاريخ ٣ صفر سنة ١٢٣٥ — ٢١ نوفمبر سنة ١٨١٩
رقم ٦ محفظة رقم ٧ بحر برا

حضرة صاحب الدولة والعناية والعطوفة والابهة سيدى ولى النعم وعلى الهمم

تفضلتم فقلتم فى كتاب دولتكم الوارد أخيرا انك وان كنت قد اقترحت منح الاجازة لنصف العمال الفلاحين واستخدام نصفهم الثاني كالاول إلا أن دولتكم قد شاورتم الكشاف والوكلاء الموجودين هناك فرأوا منح الاجازة لجميعهم نظراً لأن الميناء لاينتظر ان يتم لغاية شهرين ولانهم لم تبق عندهم قدرة على العمل من جهة وان استمرارهم فيه يعطلهم عن شؤون الزراعة من جهة أخرى ثم تفضلتم وسألتم أيضا المهندسين عن ذلك فاقترحوا انشاء جسر قوى أمام الميناء نظراً لعدم اتمامه ثم اطلاق النيل فى الترعة وان دولتكم عملا بمشورتهم قد منحتم الفلاحين كلهم اجازة وستتفضلون بالشروع فى إقامة الجسر فى غد

تاريخ كتابكم العالى وانى قد علمت ذلك فأقول انكم قد أصبتم فيما فعلتم كل الاصابة وحسن جداً ما رأيتموه من تسريح الفلاحين وإنشاء الجسر أمام الميناء واطلاق المياه فى الترعة ورى الاسكندرية وكل هذا موافق تمام الموافقة لارادة ولى النعم ثم انى قد انتهزت افادة الحال فرصة لعرض اخلاصى وعبوديتى لكم والأمر فيه بيد حضرة من له الأمر .

ختم بحقك يامعبود أنل مراد محمود — العبد محمود

(١٦)

ترجمة المكاتبة الصادرة من الأمير اسماعيل باشا كامل
الى الجناب العالى
بتاريخ ١١ صفر سنة ١٢٣٥ — ٢٩ نوفمبر سنة ١٨١٩
رقم ٨ محفظة رقم ٧ بحر برا

اتشرف بأن أعرض بأنى يوم تحرير عريضتى هذه قد سرحت جميع فلاحى الغربية وعددهم ٥٠٠ فلاح وهم الذين اشتغلوا فى جسور المنوفية والشرقية والملاحة فذهبوا إلى

أوطانهم وفى يوم الاثنين (غــــدا) وهو الموافق لليوم التــالى لتــــاريخ عريضتى . . . سأذهب إلى العطف وأشرع فى إسالة ماء النيــل إلى داخل الترعة . وعليه قـــد حررت هذا لاحاطة علم مولاى ولى النعم بذلك ؟

(١٧)

ترجمة المكاتبة التركية الصادرة من اسماعيل
الى ولى النعـــم
بتاريخ ١٤ صفر سنة ١٢٣٥ — ٢ ديسمبر سنة ١٨١٩
رقم ٩ محفظة رقم ٧ بحــــر بــــرا

حضرة صاحب الدولة والعناية والمرحمـــة ولى النعم كثير اللطف والكرم .

سبق أن عرض على عتباتكم العليـــة أننا عنـدما نصل من الاسكندرية الى العطف سنشرع فى اطلاق مياه النيـــل الى الترعة المحمودية ولما تيسر لنــا الوصول إلى العطف فى ١٢ صفر الموافق يوم الاثنين شــاورنا جميع المهندسين فى شأن افتتاح الترعة المذكورة فأفاد حضراتهم : اننـا وجدنا ميـاه النيل زادت عن تقـــدرنا أربعة أشبار فليس بجائز والحالة هــذه الافتتاح

من فم الترعة . ولما استوضحت كلامهم قالوا ان هذه الترعة عظيمة جديرة بالتقدير ولو فتحت من فمها بلا اختبار فلا يؤمن أن يؤثر ذلك فى الاجرف والجسور الواقعة فى طرفيها . ولكيلا يحدث أى ضرر فلابد من حفر ترعة صغيرة فى عرض نصف قصبة وطول خمسين قصبة تكون فوق فم الترعة المحمودية بعشر قصبات من جهة مصر . وفى الواقع أن فتح مثل هذه الترعة العظيمة من الفم دفعة ليس بجائز وهذا من الامور البديهية لدى أولى الابصار . ولذلك شرع يوم الاربعاء ظهراً فى حفر الترعة الصغيرة طبقاً لمطلوبهم . وعندما يتيسر اتمامها إلى يوم الجمعة إن شاء الله تعالى تطلق مياه النيل من طريق هذه الترعة الصغيرة بالتدريج الى الترعة الكبيرة حتى إذا تساوت وما قدره المهندسون ولم يحدث أى خلل فى جهة من الجهات فحينئذ يفتح فم الترعة أيضا . واعلاما بما تقدم قد اجترأت على تقديم عريضتى والامر بيد سيدى حضرة صاحب الدولة والعناية والمرحمة ولى النعم كثير اللطف والكرم ؟

العبد

اسماعيل

(١٨)

ترجمة خطاب تركى من الجناب العالى
الى ناظر المحمودية سعادة اسماعيل باشا
فى ٢٠ صفر سنة ١٢٣٥ — ٨ ديسمبر سنة ١٨١٩
مقيد بالدفتر رقم ٥ ص ٣

علمنا من خطابكم الوارد أولا والخطاب الوارد الآن انكم وان كنتم وصلتم الى العطف يوم ١٢ صفر لأجل الاحتفال بمباشرة افتتاح فم الترعة وانكم أجلتم الاحتفال بسبب ارتفاع النيل أربعة أشبار زيادة عن الحساب المقرر بمعرفة المهندسين . وبهذه المناسبة علمنا ما اتخذتموه من الاحتياط اللازم لحفظ الجسور من أن يصيبها ضرر بفتح جدول صغير عمقه عشر قصبات وطوله خمسون قصبة وعرضه نصف قصبة وقد تم العمل فى يوم الجمعة المبارك ١٦ صفر المذكور (٤ ديسمبر) ووردت مياه النيل بعد ذلك جارية بالترعة . فاذا ظهر ان المياه الجارية لا تصيب الجسور بضرر كما كان ملحوظا لكم أجريتم الاحتفال بفتح فم الترعة أيضا . وإذا ظهر عكس ذلك فسيصير سد فم الجدول المذكور باتخاذكم اجراآت أخرى كما تقتضى الحالة ذلك . هذا وحيث اننا على كل حال فى جميع أحوالنا

معتمدون ومستندون على الفضل الالهى وأننا سررنا بشرى تصميمكم على افتتاح الترعة حسب الترتيب الذى عملتموه فنأمل بهمتكم وحسن رعايتكم ورود ما يفيد انجاز هذا العمل أيضا كما هو أملنا فيكم ؟

(١٩)

ترجمة المكاتبة التركية الصادرة من الجناب العالى الى (١) . . . .

بتاريخ ٥ ربيع الاول سنة ١٢٣٥ — ٢٢ ديسمبر سنة ١٨١٩

اشعاره بوصول مكاتبته المتضمنة اتمام معاينة الترعة لغاية قصر السد . كما أن المهندس قسطى (٢) أيضا اعتمد ذلك . وانه بفضل الله تعالى سيتم ترميم الجهات الخطرة فى الترعة بالعمال والفلاحين القادمين من البحيرة وادكو ودسوق فى عهد قريب وانه تقرر فتح فم الترعة وابلاغه سرور الجناب العالى من اجراآته وانه نبه على حسن بك حاكم البحيرة ومحمد أغا كاشف الغربية بارسال الانفار المطلوبين منهما وطلب صرف الهمة فى اتمام الاعمال ؟

(١) ـ هكذا ورد في الاصل بدون ذكر اسم المرسل اليه هذه المكاتبة .
(٢) ـ هو مسيو كوست Coste مهندس ترعة المحمودية .

(٢٠)

ترجمة المكاتبة التركية الصادرة من الجناب العالى
الى[1] . . . .

بتاريخ ١٢ ربيع الاول سنة ١٢٣٥ — ٢٩ ديسمبر سنة ١٨١٩

اشعاره بوصول خطابه المتضمن ايقاف العمل فى عملية السد بسبب الامطار وارسال رجال البحيرة الى بلادهم بضمانة رجال حسن بك واقامة فلاحي الغربية فى القرى القريبة من قرى البحيرة وانتداب المهندسين الافرنج لعمل مقايسة عن مقدار الجدران اللازم بناؤها فى نفس الترعة وانهيار جزء من سد أبى قير بسبب العواصف وارسال الحاج عثمان أغا لترميم الجزء المنهار وشكره على همته وحثه على انهاء الأمور المحالة على عهدته .

(٢١)

ترجمة المكاتبة التركية الصادرة من الجناب العالى
الى[2] . . . .

بتاريخ ١٦ ربيع الاول سنة ١٢٣٥ — ٢ يناير سنة ١٨٢٠

(١) و (٢) — لم يذكر فى الاصل اسم المرسل اليه المكاتبة .

اشعاره بوصول كتابه المتضمن شروعه فى تقوية الترعة وإقامة الجسور والجدران بموجب المقايسة الموضوعة بمعرفة المهندسين الافرنج وترميم الترعة الصغيرة وتقويتها وان المياه ستطلق فيها بعد عدة أيام حتى إذا تساوت مع النيل يفتح الفم الاصلى والدعاء له بالتوفيق وطلب مداومة إرسال الاخبار ؟

(٢٢)

ترجمة المكاتبة التركية الصادرة من الجناب العالى الى (١) . . . .

بتاريخ ٢٦ ربيع الاول سنة ١٢٣٥ — ١٢ يناير ١٨٢٠

ابلاغه سرور الجناب العالى من كتابه الوارد المتضمن ان المهندس قسطى قام بمعاينة الجهات المقتضى إصلاحها وترميمها فى الترعة واخبر ان اطلاق المياه لا يعود منه ضرر وانه لذلك تقرر فتح الترعة يوم السبت وطلب مداومة ارسال الأخبار ؟

(١) ـ هكذا ورد فى الاصل بدون ذكر اسم المرسل اليه هذه المكاتبة .

(٢٣)

ترجمة المكاتبة التركية الصادرة من الجناب العالى
الى[١] . . . .
بتاريخ ٢٧ ربيع الاول سنة ١٢٣٥ — ١٣ يناير سنة ١٨٢٠

ابلاغه سرور الجناب العالي من محتويات كتابه المتضمن جريان الماء من المصرف الكبير ليلة ٢٤ الجارى وان ارتفاع الماء عند فم المصرف ثلاثة اشبار وأربعة قراريط وعند آخره ثلاثة أشبار وقيراطان وان الاسكندرية لم تتذوق طعم الماء إلا ان المرارة الموجودة فى الماء ستتحول الى حلوة ؟

(٢٤)

ترجمة المكاتبة التركية الصادرة من اسماعيل
الى الجناب العالى
بتاريخ ٢٧ ربيع الأول سنة ١٢٣٥ — ١٣ يناير سنة ١٨٢٠
رقم ١٧ محفظة رقم ٧ بحر برا

(١) ـ لم يذكر فى الاصل اسم المرسل اليه هذه المكاتبة .

حضرة صاحب الدولة والعناية والمرحمة سيدى ولى النعم موفور اللطف والكرم .

كنت عرضت فى كتاب سبق أن رفعته الى عتباتكم العلية أن المهندسين الاجانب سيرسلون الى ولى النعم مع الخرائط والرسائل التى وضعوها وذلك عندما تتساوى مياه النيل والمياه العذبة التي بداخل الترعة بمنسوب واحد وقد أشعرنى خادمكم احمد الكاشف قبل يومين من تاريخ عريضتى بتساوى مياه النيل والمياه العذبة التى بداخل الترعة فقدمت من فورى الى العطف حيث سلمت الخرائط والرسائل التى وضعها المهندسون المذكورون والتى بينوا فيها بالتفصيل عرض أعالى الجسور وأسافلها وعرض وطول الحيطان اللازمة لبعض الامكنة وطول الأوتاد . نعم سلمت هذه الخرائط الى خادمكم احمد افندى الكاشف وأرسلتها هى والمهندسين في رفقته الى مقامكم العالى تاركا البت فيها الى ارادة ولى النعم . وبعد فالامر بيد حضرة صاحب الدولة والعناية والمرحمة سيدى ولى النعم موفور اللطف والكرم ؟

العبد

اسماعيل

(٢٥)

ترجمة خطاب تركي محرر الى كتخدا بك
فى ١١ شوال سنة ١٢٣٥ — ٢٢ يوليه سنة ١٨٢٠
مقيد بالدفتر رقم ٥ ص ٤٠

حيث ان صيانة ترعة المحمودية متوقف على تصريف مياه البحيرة لذلك أرسلت الحاج عثمان أغا لكشف محل الصرف الذى أخبرونا بوجوده بناحية مربوط فذهب ونظر المحل المذكور وحضر وأجاب بأن المحل الذى قيل بانه مصرف ظهر انه ترعة من قديم الزمن بها قناطر قائمة الى الآن ولكنها بمرور الزمن انطمت وتحتاج الى تطهير . هكذا اخبرنا وعلى هذه الصورة يحتاج الامر الى مهندس ماهر لأهمية الامر فاذا كان قسطى المهندس لم يذهب الى فوه فليحضر ومعه عدد من مهندسى المهندسخانة الحاليين وتسلموه مايلزم مثل طبلية وجنزير الى غير ذلك من آلات العمل وتسفيرهم جميعا بالمركب وارسالهم الينا سريعا . أما اذا كان قسطى المهندس قد ذهب إلى فوة فأرسلوا المهندسين الآخرين ومعهم قواس الى فوة أولا ونبهوا عليهم بمقابلة قسطى هناك وحضوره معهم الينا . وقد

حرر هذا اشعارا بتنفيذ إرادتنا بما ذكر ؟

(٢٦)

ترجمة المكاتبة التركية الصادرة من صفى الحاج ابراهيم أغا
الى الجناب العالى
بتاريخ ١٩ شوال سنة ١٢٣٥ — ٣٠ يوليه سنة ١٨٢٠
رقم ٤٥ محفظة رقم ٧ بحر بـــرا

جاء فيها : أن البوشانجى باشى اثناء مرافقته لجلالة السلطان فى الذهاب الى الخزان حصل حديث بينهما يتعلق بمسألة قيام الجناب العالى بايصال المياه العذبة الى الاسكندرية وأسماها « الترعة المحمودية » فتعطف جلالته ودعا للجناب العالى بالخير ؟

(٢٧)

ترجمة المكاتبة التركية الصادرة من الجناب العالى
الى شاكر افندى مدير المحمودية
بتاريخ ١٣ ذى الحجة سنة ١٢٤٧ — ١٤ مايو سنة ١٨٣٢

إشعاره بأنه كتب الى احمد افندى مأمور الرحمانية لتكليف الشيخ يوسف الباشمهندس بتقوية جسور سمخراط وحفر ترعة الاشرفية صيفيا بواسطة أهالى القرى التى أتمت الحصاد وانه كتب الى رستم افندى مأمور دمنهور لتقوية جسور زرقون وأفلاقة وسرنباى ولوية وسناباده وطلب أخذ الماء قبل النقطة والمبادرة الى حفر ترعة المحمودية في أول محرم ؟

(٢٨)

ترجمة المكاتبة التركية الصادرة من الجناب العالى
الى شاكر افندى مدير المحمودية
بتاريخ ٩ صفر سنة ١٢٤٩ — ٢٨ يونيه سنة ١٨٣٣

إشعاره بأنه طبقا لما طلبه قد صدر الأمر الى ناظر فوه والشباسات بتوريد الطوب اللازم للقنطرة وإلى محافظ رشيد بارسال الجير اللازم والى الأقاليم بارسال الانفار اللازمين للرياح وطلب حفر الجزء الباقي من المحمودية وتكليف احد موظفيه بالاشراف على المبانى ؟

(٢٩)

ترجمة المكاتبة التركية رقم ٣ الصادرة من الجناب العالى
الى عثمان بك ناظر المحمودية
بتاريخ ٨ ربيع الاول سنة ١٢٦١ — ١٧ مارس سنة ١٨٤٥

تكديره على عدم قيامه بعمل ماخصه من عملية مديرية البحيرة وهو ١٩ مترا مكعبا وتكليفه القيام بالعملية المحالة عليه تخليصا لنفسه من الهلاك وطلب إرسال الانفار اللازمين لانهاء المفروض عليه بدون تأخير ؟

(٣٠)

ترجمة المكاتبة التركية الصادرة من الجناب العالى
الى عارف قبودان ناظر أشغال المحمودية
بتاريخ ١٦ ذى الحجة سنة ١٢٦٢ — ٥ ديسمبر سنة ١٨٤٦

إشعاره بأن مهندس المحمودية أرسل الى ابراهيم زكى افندى مدير ديوان ملكى بالاسكندرية يبلغه ضرورة إقفال الحوض لحين تزايد النيل خوفا من عدم سير المراكب فى المحمودية

بسبب قلة الميـــاه وطلب عدم السماح للمراكب القادمة بالمرور من الحوض الى الداخل ونقـــل البضاعة الى مراكب صغيرة وإمرارها مجتمعة غير منفردة . وذلك لعدم تسرب مياه كثيرة الى البحر الأعظم ؟

(٣١)

ترجمة المكاتبة التركية الصادرة من الجناب العالى
الى سليم بك وكيل القناطر الخيرية
بتاريخ ١٤ شعبان سنة ١٢٦٣ — ٢٨ يوليه سنة ١٨٤٧

بطلب إرسال المساكر البحرية الموجودة فى القنـــاطر الى الاسكندرية لانتهاء اعمـــال الاساس المقررة عن هذا العام وطلب ترمـــيم الكراكات وارسالهـــا الى ترعـــة المحمودية لتطهيرها ؟

(٣٢)

ترجمة المكاتبة التركية الصادرة من الجناب العالى
الى عارف قبودان ناظر فم المحمودية
بتاريخ ١٣ صفر سنة ١٢٦٤ — ٢٠ يناير سنة ١٨٤٨

الموافقة على إقفال حوض المحمودية كالعام الماضى لتوفير المياه فى المحمودية بسبب انحطاط ماء النيل والسعى لعدم إضاعة المياه هدرا ؟

(٣٣)

ترجمة المكاتبة التركية رقم ٢ الصادرة من الجناب العالى
الى مأمور المحمودية والحوض
بتاريخ ٢١ جمادى الثانية سنة ١٢٦٧ هـ
٢٣ ابريل سنة ١٨٥١ م

الموافقة على فتح أبواب الحوض وإمرار المراكب المشحونة بالطلمبات الخاصة بوابور المياه الذى استورده من أوربا والذى سيركب فى الناحية التى فى عهدة سعادة سليمان باشا رئيس رجال الجهادية من باب الاستثناء وعدم السماح لغيره بذلك ؟

ما ذكره سائر المؤرخين عن ترعة المحمودية

جاء فى كتاب « عجائب الآثار فى التراجم والأخبار » للشيخ عبد الرحمن الجبرتى المتوفى نحو سنة ١٨٢٥ م ما نصه :—

« واستهل شهر جمادى الثانية بيوم الثلاثاء[١] سنة ١٢٣٢ (١٨ أبريل سنة ١٨١٧ م) .

(وفى يوم الخميس حادى عشرينه[٢]) رأى رأيه حضرة الباشا حفر بحر عميق يجرى الى بركة عميقة تحفر أيضا بالاسكندرية تسير فيها السفن بالغلال وغيرها ومبدؤها من مبدأ خليج الأشرفية عند الرحمانية فطلب لذلك خمسين ألف فاس ومسحة يصنعها صناع الحديد وأمر بجمع الرجال من القرى وهم مائة ألف فلاح توزع على القرى والبلدان للعمل والحفر بالاجرة وبرزت الأوامر بذلك فارتبك أمر الفلاحين ومشايخ البلاد لأن الأمر برز بحضور المشايخ وفلاحيهم فشرعوا فى التشهيل وما يتزودون به فى

(١) ـ في كتاب : « التوفيقات الالهامية » للواء محمد مختار باشا ان أول جمادى الثانية من هذه السنة يوافق يوم الجمعة . (٢) ـ أى فى اليوم الحادى والعشرين من شهر جمادى الثانية .

البرية ولا يدرون مدة الاقامة فمنهم من يقدرها بالسنة ومنهم بأقل أو أكثر .

واستهل شهر شعبان بيوم الاثنين سنة ١٢٣٢ (١٦ يونيه سنة ١٨١٧) .

وفيه قوى اهتمام الباشا لحفر الترعة الموصلة الى الاسكندرية كما تقدم وأن يكون عرضها عشرة أقصاب والعمق أربعة أقصاب بحسب علو الأراضى وانخفاضها وتعينت كشاف الأقاليم لجمع الرجال وفرضوا اعدادهم بحسب كثرة أهل القرية وقلتها وعلى كل عشرة أشخاص شخص كبير وجمعت الغلقان ولكل غلق فاس وثلاثة رجال لخدمته وأعطوا كل شخص خمسة عشر قرشا ترحيلة ولكل شخص ثلاثون نصفا فى أجرته كل يوم وقت العمل وحصل الاهتمام لذلك فى وقت اشتغال الفلاحين بالحصيدة والدراس وزراعة الذرة التى هى معظم قوتهم وشرعوا فى تشهيل احتياجاتهم وشراء القرب للماء فان بتلك البرية لا يوجد الماء إلا ببعض الحفائر التى يحفرها طالب الماء وقد تخرج مالحة لأنها أراض مسبخة وتعين جماعة من مهندسخانة ونزلوا مع كبيرهم لمساحتها وقياسها فقاسوا من فم ترعة الأشرفية حيث الرحمانية الى حد الحفر المراد بقرب عمود السوارى الذى بالاسكندرية فبلغ ذلك ستا وعشرين ألف

قصبة ثم قاسوا من أول الترعة القديمة المعروفة بالناصرية وابتداؤها من المكان المعروف بالعطف عند مدينة فوة فكان أقل من ذلك ينقص عنه خمسة آلاف قصبة وكسر ، فوقع الاختيار على أن يكون ابتداؤها هناك .

واستهل شهر ربيع الثانى بيوم السبت(١) سنة ١٢٣٤ (٢٨ يناير سنة ١٨١٩)

فيه حصل الاهتمام بحفر الترعة المعروفة بالأشرفية الموصلة الى الاسكندرية وقد تقدم فى العام الماضى بل والذى قبله اهتمام الباشا ونزل اليها المهندسون ووزنوا أرضها وقاسوا طولها وعرضها وعمقها المطلوب ثم أهمل أمرها لقرب مجىء النيل وتركوا الشغل فى مبدئها ولم يترك الشغل فى منتهاها عند الاسكندرية بالقرب من عامود السوارى فحفروا هناك منبتها وهى بركة متسعة وحوطوها بالبناء المحكم المتين وهى مرسى المراكب التى تعبر منها الى الاسكندرية بدلا عن البوغاز وهو ملتقى البحرين وما يقع فيه من تلف المراكب فتكون هذه أسلم وأقرب وأقل كلفة إن صحت بل وأقرب مسافة ونزل الأمر لكشاف الأقاليم بجمع الفلاحين والرجال على

(١) ـ فى كتاب « التوفيقات الالهامية » الآتف الذكر انه يوافق يوم الخميس .

لحساب مزارع الفدادين فيحصون رجال القـــرية المزارعـين ويدفعون للشخص الواحد عشرة ريالات ويخصم له مثلها من المال . واذا كان له شريك وأحب المقام لأجـل الزرع الصيفى أعطاه حصتـه وزاده عليهـــا حتى يرضى خاطره وزوده بما يحتـــاج إليـــه أيضا وعند العمل يدفع لكل شخص قرش فى كل يوم ويخرج أهــــل القرية أفواجا ومعهم أنفار من مشايخ البـلاد ويجتمعون فى المكان المأمورين باجتماعهم فيــــه ثم يسيرون مـع الكاشف الذى بالناحية ومعهم طبــــول وزمور وبيارق ونجـارون وبنـاؤون وحدادون وفرضوا على البـلاد التى فيها النخيل غلقانا ومقـاطف وعراجـــين وسلبا وعلى البنادر فؤوسا ومســاحى شىء كثير بالثمن وطلبـوا أيضا طائفـــة الغواصين لأنهم كانوا اذا تسفلوا فى قطع الأرض فى بعض المواضع منها ينبع المـــاء قبل الوصول الى الحد المطلوب .

واستهل شهر جمـــادى الاولى سنـــة ١٢٣٤ (٢٦ فبراير سنة ١٨١٩)

(وفى سابعه يوم الخميس) قوى الاهتمام بأمر حفـر الترعة المتقـــدم ذكرها وسيقت الرجال والفـلاحون من الاقاليم البحرية وجدوا فى العمل بعـــدما حددوا لـكل أهل اقليم أقصابا توزع على أهل كل بلد من ذلك الاقليم فمن أتم عمـله المحدود

انتقل الى مساعدة الآخرين وظهر فى حفر بعض الاماكن منها صورة أماكن ومساكن وقيعان وحمام بعقوده واحواضه ومغاطسه ووجد ظروف بداخلها فلوس نحاس كفرية قديمة وأخرى لم تفتح لا يعلم ما فيها رفعوها للباشا مع تلك .

واستهل شهر جمادى الثانية سنة ١٢٣٤ (٢٨ مارس سنة ١٨١٩) .

وفى أواخره (أواسط أبريل) رجع الكثير من فلاحى الأقاليم الى بلادهم من الأشرفية وهم الذين أتموا ما لزمهم من العمل والحفر ومات الكثير من الفلاحين من البرد ومقاساة التعب .

واستهل شهر شعبان سنة ١٢٣٤ (٢٦ مايو سنة ١٨١٩) .

وفيه صرفوا الفلاحين عن العمل فى الترعة لأجل حصاد الزرع ووجهوا عليهم طلب المال .

واستهل شهر شوال بيوم الجمعة[١] سنة ١٢٣٤ (٢٤ يوليه سنة ١٨١٩) .

وفى رابع عشره (٦ أغسطس) الموافق لآخر يوم من

(١) ـ فى كتاب « التوفيقات الالهامية » أنه يوافق يوم السبت .

شهر أبيب نودى بوفاء النيل وكان الباشا سافر الى جهة الاسكندرية بسبب ترعة الاشرفية وأمر حكام الجهات بالارياف بجمع الفلاحين للعمل فأخذوا فى جمعهم فكانوا يربطونهم قطارات بالحبال وينزلون بهم المراكب وتعطلوا عن زرع الدراوى الذى هو قوتهم وقاسوا شدة بعد رجوعهم من المرة الاولى بعد ما قاسوا ما قاسوه ومات الكثير منهم من البرد والتعب وكل من سقط أهالوا عليه من تراب الحفر ولو فيه الروح . ولما رجعوا الى بلادهم للحصيدة طولبوا بالمال وزيد عليهم عن كل فدان حمل بعير من التبن وكيلة قمح وكيلة فول وأخذ ما يبيعونه من الغلة بالثمن الدون والكيل الوافر فما هم إلا والطلب للعود الى الشغل فى الترعة ونزح المياه التى لا ينقطع نبعها من الارض وهي فى غاية الملوحة والمرة الاولى كانت فى شدة البرد وهذه المرة في شدة الحر وقلة المياه العذبة فينقلونها بالروايا على الجمال مع بعد المسافة وتأخر رى الاسكندرية .

واستهل شهر ذى القعدة سنة ١٢٣٤ (٢٢ أغسطس سنة ١٨١٩) .

والعمل فى الترعة مستمر .

واستهل شهر ربيع الأول بيوم الأحد[١] سنة ١٢٣٥ (١٨ ديسمبر سنة ١٨١٩) .

وفى أواخره (أوائل يناير سنة ١٨٢٠) انقضى أمر الحفر بترعة الاسكندرية ولم يبق من الشغل إلا القليل ثم فتحوا لها شرما خلاف فمها المعمول خوفا من غلبة البحر فجرى بها الماء واختلط بالمياه المالحة التى نبعت من أرضها وعلا الماء منها على بعض المواطن المسبخة وبها روبة عظيمة وساح على الارض وليس ثم هناك جسور تمنع وصادف أيضا وقوع نوة وأهوية علا فيها البحر المالح على الجسر الكبير ووصل الى الترعة فأشيع فى الناس أن الترعة فسد أمرها ولم تصح وان المياه المالحة التى منها ومن البحر غرقت الاسكندرية وخرج أهلها منها الى ان تحقق الخبر بالواقع وهو دون ذلك ورجع المهندسون والفلاحون الى بلادهم بعد ما هلك معظمهم .

واستهل شهر ربيع الثانى سنة ١٢٣٥ (١٧ يناير سنة ١٨٢٠) .

وفى سابعه (٢٣ يناير) سافر الباشا الى الاسكندرية للكشف على الترعة وسافر صحبته ابنه ابراهيم باشا ومحمد بيك الدفتردار والكتخدا القديم ودبوس أوغلى (وفى ثالث عشره)

---

(١) ـ فى كتاب « التوفيقات الالهامية » أنه يوافق يوم السبت .

حضر الباشا ومن معه من غيبتهم وقد انشرح خاطره لتمام الترعة وسلوك المراكب وسفرها فيها وكذلك سافرت فيها مراكب رشيد والنقار بالبضائع واستراحوا من وعر البوغاز والسفر فى المالح الى الاسكندرية والنقل والتجريم وانتظار الريح المناسب لاقتحام البوغاز والبحر الكبير ولم يبق فى شغل الترعة إلا الأمر اليسير واصلاح بعض جسورها .

واستهل شهر ذى الحجة سنة ١٢٣٥ (٩ سبتمبر سنة ١٨٢٠)

ومنها (أى من حوادثها) أن ترعة الاسكندرية المحدثة لما تم حفرها وسموها بالمحمودية على اسم السلطان محمود فتحوا لها شرما دون فمها المعد لذلك وامتلأت بالماء فلما بدأت الزيادة فزادت وطف الماء فى المواضع الواطية وغرقت الأراضى فسدوا ذلك الشرم وأبقوا من داخله فيها عدة مراكب للمسافرين فكانوا ينقلون منها الى مراكب البحر ومن البحر الى مراكبها وبقى ماؤها مالحا متغيرا واستمر اهل الثغر فى جهد من قلة الماء العذب وبلغ ثمن الراوية قرشين » . ا ﻫ

وجاء فى كتاب لمحة عامة الى مصر لكلوت بك تعريب محمد مسعود بك ج ١ من ص ٤١٣ الى ص ٤١٥ ما نصه : —

« ومرفأا الاسكندرية هما الوحيدان اللذان على السواحل

المصرية واذا كانت الاساطيل ضرورية لصيانة استقلال القطر المصرى الذى لاتستطيع الدول الاوربية تهديده الا من طريق البحر فالاسكندرية المرفأ الوحيد الذى تستطيع هذه الاساطيل اتخاذه مكمنا يتعذر الهجوم عليها فيه فقد كان من الواجب اغتنام هذه المزية الطبيعية وهو مالم يغفل عنه محمد على لأنه جعل الاسكندرية ثغرا حربيا وأنشأ بها دارا للصناعة (ترسانة) فارتفع لها شأن بين مرافىء البحر الابيض المتوسط .

أما الاهمية التجارية لكل نقطة من نقط سواحل مصر على البحر الابيض المتوسط فتابعة لسهولة المواصلات بينها وبين القاهرة التى هى المركز التجارى والصناعى والسياسى لذلك القطر . وكانت الاسكندرية قديما تتصل بالجهات الداخلية من القطر بفرع النيل الذى كان واصلا اليها . فلما انسدت هذه الترعة بانهيال الاتربة فيها كان أول ما عنى الفاتحون العرب به ايصالهم إياها بالقاهرة بترعة أجاد المؤرخون الشرقيون وصفها . ولكن هذه الترعة لم تلبث فى ايام ان اندثرت كسابقتها وأصبحت لا فرق بينها وبين الخندق البسيط يجف الماء منها اثناء الشطر الاكبر من السنة فنشأ عن ذلك ان فقدت الاسكندرية مكانتها التجارية التى آلت من بعدها الى ثغر رشيد .

غير ان محمدا عليا أبى أن يستمر هذا الغبن فأعاد الى

الاسكندرية أهميتهـــا الأولى بأنشائه ترعة تسير فيها السفن أسماها بالمحمودية نسبة الى السلطان محمود إجلالا له وتخليدا لاسمه . ومنذ هذا الحين انحصرت دائرة التجارة فى الاسكندرية وجعـــل ناظر التجـــارة المصرية مقـــره فيها لهذا السبب ولكى يباشر أيضـــا مبيع الحاصلات الخاصة بالتصـــدير الى التجار الاوربيين » . اهـ

وجاء عنها أيضا فى هذا الكتاب ج ٢ من ص ٧٠٢ الى ص ٧٠٣ : —

« كانت أهميـة المواصلات بين الاسكندرية والقاهرة وصعوبة الملاحة فى فرعى النيل لصعوبة اجتياز بوغازيهما مما حمل محمـــدا عليا على حفر ترعة المحمودية .

وكان العرب قد فتحوا إثر فتحهم لمصر ترعـة شبيهة بترعة المحمودية ولكنها كانت أقل أهمية منها فأهمل المماليك أمرها بسوء ادارتهم حتى طمستها الرمال والاتربة فأصبحت أثرا بعد عين .

وطـــول ترعـة المحمودية خمسة وعشرون فرسخا (١٠٠ كيلو متر) ومأخذها من فرع رشيـد على مسافة ربع فرسخ (١ كيلو متر) من فوة وهى صالحة للمـــلاحة . وقد تم حفرها فى عشرة أشهر وقام بالعمل فيها ثلاثمـــائة الف وثلاثة عشر

الفا من العمال . وترعة المحمودية جديرة بأن تعد من الاعمال الخطيرة والآثار الجليلة التى كان قدماء المصريين يقومون بمثلها فى غابر الازمان » . اهـ .

وجاء في كتاب : « نخبة الفكر فى تدبير نيل مصر » لعلى باشا مبارك المتوفى سنة ١٨٩٣ م من ص ٨٤ الى ص ٨٧ المطبوع سنة ١٢٩٧ هـ (١٨٨٠ م) تحت عنوان « ترعة المحمودية » ما نصه : —

« هذه الترعة خارجة من النيل نفسه فمها فى الشط الغربى قبلى ناحية العطف وتصب فى البحر الابيض عند الاسكندرية وطولها ثمانية وسبعون الف متر ومتوسط عرضها خمسة وعشرون مترا وهى نيلية لا يدخلها الماء فى أيام التحريق إلا بواسطة الوابورات فتنقل اليها فى اليوم والليلة ثمانمائة الف متر مكعب وبها ثلاث قناطر قنطرة الفم بهويس وقرب المالح قنطرتان بهويسين وعليها ثمانية وعشرون وابورا فى قوة خمسمائة وخمسة وأربعين حصانا ويتفرع منها نحو اثنين وعشرين ترعة وهى :

ترعة العطف فمها بلصق مساكن المحمودية وتصب في بحيرة ادكو وطولها خمسة آلاف متر وعرضها متران .

وترعة منشأة أرمون فمها بجوار العزبة وتصب فى بحيرة

ادكو بعد مسافة أربعة آلاف متر فى عرض متر ونصف .

وترعة قابيل فمها فى مجرى مصب ترعة الخطاطبة وتصب في المحمودية قبلى عزبة عيد حبيب وطولها سبعة آلاف متر وعرضها متران وبها قنطرتان قنطرة الفم بعين وقنطرة قبلى منشأة دمسينة بعينين ويخرج منها فرع بسنته يصب فى بحيرة ادكو .

ومن فروع المحمودية ترعة الناصرى فمها قبلى بركة غطاس وتعود الى المحمودية شرق الكريون وطولها ستة آلاف متر ومتوسط عرضها أربعة أمتار وبها قنطرتان قنطرة الفم بعين وقنطرة بالانتهاء كذلك .

وترعة الكريون فمها قرب الكريون وتصب فى بحيرة ادكو بعد امتدادها سبعة آلاف متر فى عرض مترين وبفمها قنطرة بعين واحدة .

ومصرف كفر عزاز فمه بالمحمودية أمام أبى حمص ويصب فى بحيرة ادكو ايضا بعد سيره ثمانية آلاف متر فى عرض متر ونصف وبفمه قنطرة بعين واحدة .

وترعة كفر سليم فمها أمام عزبة كنج عثمان وتصب فى

بحيرة أبى قير وطولهـــا خمسة آلاف متر وعرضها مـتر ونصف وبفمها قنطرة بعين واحدة .

وترعة زرقون فمها غربى قصر محمد بيك الترجمان تلتقى مع ترعة الخزان وتصب فى فرع الاشرفية القديم غربى ضريح الشيخ حسن النوام وطولها ثمانية آلاف متر وعرضها متران وبهـا قنطرتان الأولى قنطرة الفم بعين واحدة والثانية تحت السكة الحديد .

وترعـة آبار يوسف فمهـــا بجوار عزبة بسطـره وتصب فى مصرف أبعـــدية دمنهور بعـــد امتدادها سبعة آلاف متر فى عرض مـــتر ونصف وبها قنطرتان قنطرة الفم بعين واحدة وقنطرة تحت السكة الحديد .

وترعة سحالى فمهـــا شرقى عزبة سحالى وتصب فى مصرف أبعدية دمنهور بعـــد طول سبعة آلاف متر فى عرض مـــتر ونصف وبهـــا قنطـرتان قنطرة الفم بعين واحـدة وقنطرة تحت السكة الحديد .

وترعـة زاوية نعيم فمها غربى عزبة سحالى وتصب فى مصرف العموم بعد طول ثمـــانية آلاف متر فى عرض متر ونصف وبها قنطرتان قنطرة الفم بعين واحدة وقنطرة تحت السكة الحديد .

وترعة القروى فمها فى شرق كوم القروى وتصب فى مصرف العموم وطولها عشرة آلاف متر وعرضها متران وبها قنطرتان قنطرة الفم بعين واحدة وقنطرة تحت السكة الحديد .

وترعة الزرقا فمها فى غربى عزبة زكى افندى وتصب فى مصرف العموم وطولها ثمانية آلاف متر وعرضها متر ونصف وبها ثلاث قناطر قنطرة الفم بعين واحدة وقنطرة تحت السكة الحديد وقنطرة عزبة تومة .

وترعة محلة كيل فمها فى غربى عزبة أرتين بيك وتصب في ترعة الشرشرة وطولها ألفا متر ومتوسط عرضها خمسة امتار وبها خمس قناطر قنطرة الفم بعين واحدة وقنطرة تحت السكة الحديد وقنطرة بجوار عزبة قناوى وقنطرة أبى طاحون والخامسة قنطرة الزينى .

وترعة قفلة فمها فى غربى فم ترعة محلة كيل وتصب فى بركة الغراقة وطولها عشرة آلاف متر وعرضها متران وبها قنطرتان قنطرة الفم وقنطرة تحت السكة الحديد .

وترعة بلقطر فمها غربى فم ترعة قفلة وتصب فى بركة الغراقة وطولها وعرضها كما قبلها وبفمها قنطرة واحدة

بعين واحدة .

ومثلها ترعة دسونس الحلفاية وفمها أمام بركة غطاس وتصب فى مصرف العموم وبها قنطرتان قنطرة الفم بعين واحدة وقنطرة تحت السكة الحديد .

وترعة معمل الزجاج فمها بجوار المعمل وتصب فى مصرف العموم وطولها ثمانية آلاف متر ومتوسط عرضها متران وبها قنطرتان قنطرة بالفم وقنطرة تحت السكة الحديد وفى نهايتها مصرف يصب فى بركة غراقه طوله سبعة آلاف متر وعرضه متر ونصف .

وترعة أبعدية لوقين فمها غربى عزبة رسكوفتش النمساوى وتصب فى مصرف ترعة معمل الزجاج وطولها اثنا عشر ألف متر ومتوسط عرضها متران وبها ثلاث قناطر قنطرة الفم بعين واحدة وقنطرة تحت السكة الحديد والثالثة عند عزبة احمد بيك راغب .

وترعة البسلقون فمها فى غربى ترعة بردله وتصب في بحيرة مريوط وطولها اثنا عشر الف متر وعرضها متران وبها ثلاث قناطر قنطرة الفم بعين واحدة وقنطرة تحت السكة الحديد والثالثة تجاه كفر الشيخ حسن .

وترعة بردله وتعـرف بالسعرانية فمها بالمحمودية شرق عزبة السعرانية وتلتقى مع ترعة البسلقون وطولهـا ستة آلاف متر وعرضها متران وبها قنطرتان قنطرة الفم بعين واحدة وقنطرة تحت السكة الحديد .

وترعة بيبس (أبيس) فمها فى شرق عزبة كنج عثمان وتصب فى برية البسلقون وطولها خمسة آلاف متر وعرضها متر ونصف وبها قنطرتان قنطرة الفم وقنطرة تحت السكة الحديد .

وترعة كنج عثمان فمها بجوار العزبة وتصب في بحـيرة مريوط وطولهـا خمسة آلاف متر ومتوسط عرضها متر ونصف وبها قنطرتان قنطرة الفم وقنطرة تحت السكة الحديد ومن عزبة كنج عثمان الى اسكندرية يخرج من المحمودية روابخ كثيرة من الجانبين لسقى المزارع والبساتين .

ولهـذه المديرية على فرع رشيد نفسه ثمـانية وعشرون وابورا بقوة ستمائة واربعة واربعين حصـانا ايرادها في اليوم والليلة أربعمائة الف متر مكعب من الماء وايرادها من السواقى نحو ثلثمائة الف متر ومن الرياح ثمانمـائة الف متر ومن المحمودية من مياه وابورات المطف نحو اربعمائة الف فمجموع مياه المديرية نحو مليون وتسعمائة الف متر » . اه

وجاء ايضا فى كتاب الخطط التوفيقية لعلى باشا مبارك ج ٧ ص ٥٠ و٥١ المطبوع سنة ١٣٠٥ ﻫ (١٨٨٨ م) ما نصه : —

« ولما كان المقصود من تمدين تلك المدينة (أى الاسكندرية) وتكثير خيراتها لا يتم إلا بكثرة المياه العذبة فيها وسهولة وصول أهل القطر اليها بمتاجرهم وكان خليجها القديم بسبب إهماله وعدم الاعتناء بشأنه قد ردم وارتفع قاعه زيادة على ضعف عمقه الأصلى حتى كان فى كثير من السنين لا يدخله الماء الا فى وقت انتهاء زيادة النيل ثم يجف فى باقي السنة وذلك سبب فى حصول مشقات زائدة لاهل المدينة والطارئين عليها من أهل القطر والاغراب سيما ومجاورته للبحائر التى تكتنفه من الجانبين مثل بحيرة أبى قير وبحيرة المعدية وبحيرة مريوط كانت تستوجب سرعة ملوحة مائه وتعطل منفعته وربما لا تكفى الصهاريج بقية السنة خصوصا مع كثرة الناس فيها جدا كما علمت صدرت أوامره[1] السنية سنة ١٢٣٣ ﻫ الموافقة سنة ١٨١٩ ميلادية بحفر ترعة المحمودية وأن تعمق حتى تجرى صيفا وشتاء وتوسع بحيث يسهل لجميع مراكب النيل الوصول منها الى المدينة بأنواع المحصولات فى زمن قريب بلا كبير مصرف ولا مشقة مع حصول تمام النفع للآدميين وسائر الحيوانات

(١) ـ أى محمد على باشا .

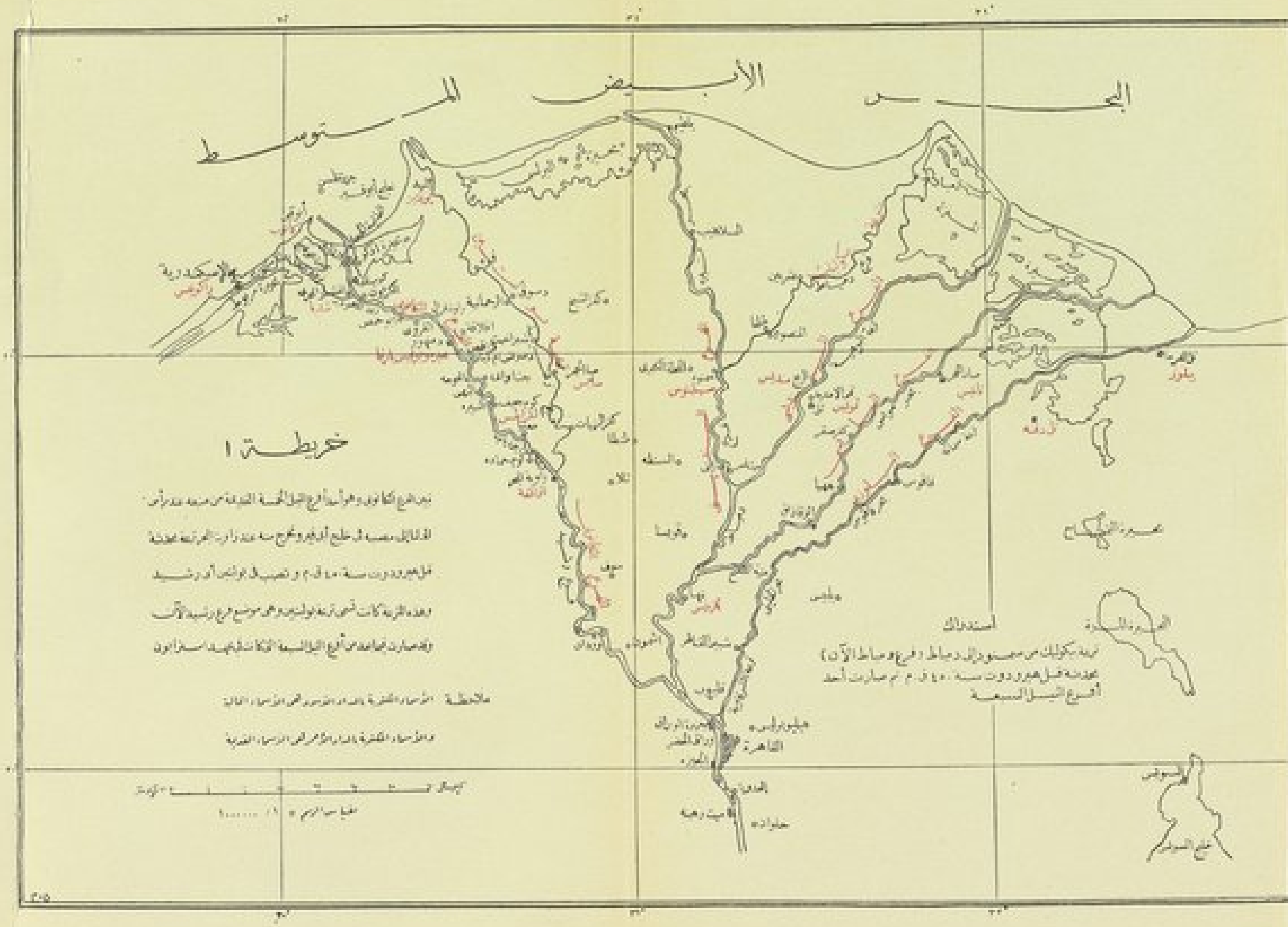
والمزروعات وكانت قبل ذلك تجارات القطر لا تصل الى تلك المدينة إلا من ثغر رشيد أو دمياط وذلك مستوجب لكثرة المصرف وزيادة المشقة جدا فان سفر البحر الملح لا يخلو عن الخطر فكانت لا تخلو سنة عن حصول غرق لبعض المراكب والبضائع والآدميين ولأهميتها جمع لها عددا كثيرا من الأهالى من جميع مديريات القطر حتى تمت فى أقرب وقت مع الأبنية اللازمة لها وقد بلغ ما صرف عليها الى أن تمت ثلثمائة الف جنيه على ما نقله قولوط بيك وهذا بالنسبة لما ترتب عليها من المنافع شيء يسير كما هو مشاهد ولم يجعل فمها فى مكان فم الخليج القديم عند ناحية الرحمانية بسبب ما حدث أمامه من الارتدام والرمال فنقل بالقرب منه فارتدم ايضا وفعل ذلك مرارا فلم ينفع فجعل عند ناحية العطف فصلح وأنتج المطلوب فاستمر على ما هو عليه الآن وكان ذلك سببا فى عمارة ناحية العطف واتساعها وكثرة خيراتها حتى ألحقت بالبنادر حيث كانت مرسى للسفن التجارية الداخلية والخارجية وجعل انهاؤها البحر الابيض بحيث تصب قريبا من مصب الخليج القديم الذى كان فى زمن البطالسة . وبتمامها على هذا الوجه حصل منها المقصود من المنافع العميمة والفوائد الجسيمة مما ذكرنا وخلافه كاحياء غالب الاراضى التى بجوانبها من ناحية العطف الى

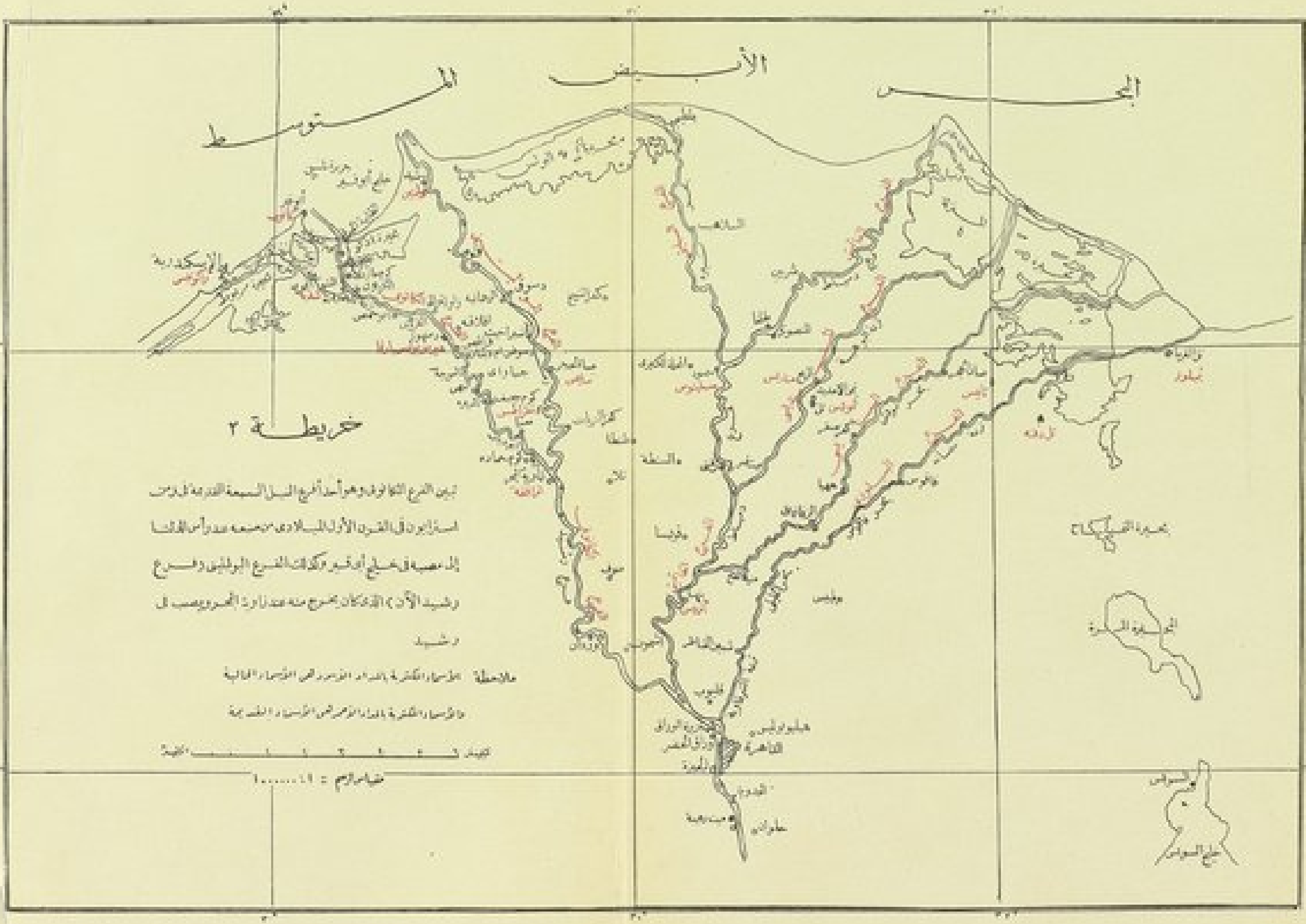
الثغر بعد ان كانت ميتة غير صالحة للزراعة بسبب هجرها من قلة وصول الماء اليها مع انها كانت فى قديم الزمان معمورة بالناس وأصناف المزروعات بل حصل بحفرها احياء كثير من الاراضى البعيدة عن شواطئها بواسطة المساقى والترع التى تفرعت عنها من الجانبين على توالى الازمان حتى بلغ ما أحيي بها ١١٥٤٥ فدانا . وكان الصالح قبل ذلك لا يزيد على ٤٠٠٠ فدان . وهكذا لم تزل المزارع والاحياء تتزايد بسبب تلك الترعة الى وقتنا هذا فقد بلغ الصالح للزراعة زيادة عن مائة الف فدان حتى استوجب عدم كفاية ماء المحمودية بجميعه واحتيج الى تركيب وابورات العطف ثم انه عند تمام حفرها جعل فى فمها وفى مصبها قناطر فكانت مانعة لمراكب النيل من الدخول فيها وكانت التجارات الآتية من القطر الى اسكندرية تنقل عند فمها الى مراكب أخر من مراكب المحمودية وعند وصولها الى الثغر ينقل ما كان منها على ذمة الأجنبيين الى مراكب البحر الملح وما كان على ذمة الأهالى يخرج الى البر وكذلك التجارات الآتية من الأقطار الاجنبية فكانت تنقل مرتين ولايخفى ما فى ذلك من الضرر والخطر فصدرت أوامره السنية بازالة تلك القناطر وعمل هويسات فى فمها وفى مصبها وذلك سنة ١٨٤٢ ميلادية موافقة ١٢٥٨ هجرية فعملت على هذا الوجه الذى هى عليه الآن

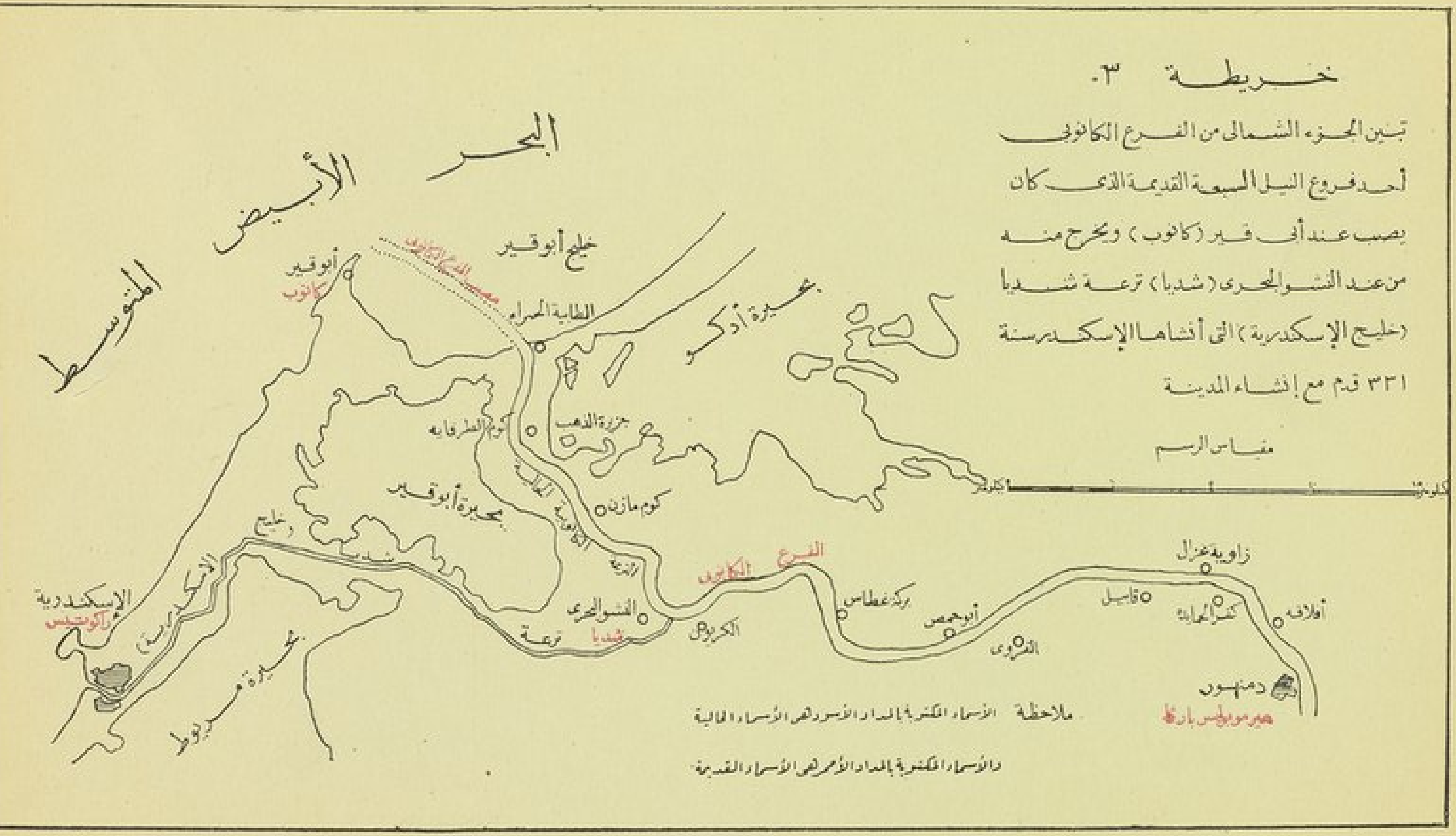
بأن جعل فى فمها هويسان أحدهما صغير عرضه أربعة أمتار للمراكب الصغيرة والآخر كبير سعته ثمانية أمتار للمراكب الكبيرة وفى مصبها كذلك فارتفعت بذلك الصعوبات وخفت المصاريف . وقد ألحق بذلك أبنية عديدة منها انه بنى جامعين أحدهما عند فمها والآخر عند مصبها قرب المينا وجعل محراب كل واحد منهما قطعة واحدة من الرخام الابيض وكتب عليه تاريخ البناء ورقم عليه اسم السلطان محمود والجامع الذى عند مصبها يعرف الآن بجامع التاريخ وكذلك الشارع الذى عنده يسمى بشارع التاريخ . ومنها أنه جدد عدة أشوان لخزن الغلال الميرية ومنها حفر مجرى تحت الارض لتوصيل الماء الحلو الى جهة الترسانة والجمرك قد فتح فى مواضع منه موارد لأخذ السقائين والاهالى فى أى وقت شاءوا . ولحرصه على دوام نفع تلك الترعة جعل لها ما تتغذى منه عند الحاجة فجعل ملقة ديسة (دسيا) مخزنا للماء يملأ وقت فيضان النيل ويبقى مملوءا حتى يصرف فيها على حسب الحاجة وجعل فيه قناطر للصرف والمخزن المذكور هو مايعرف الآن بخزان الزرقون وكان قريبا من عشرين الف فدان . ولما استغنى عنه بوابورات العطف جعله المرحوم سعيد باشا جفلكا وهو الآن فى ملك نجله المرحوم طوسون باشا . وقد حدث على جوانب تلك الترعة وبعيدا عنها فى ضواحى المدينة عدة بلدان عامرة وقصور

مشيدة وبساتين مملوءة بأشجار الفواكه والرياحين وغير ذلك من المحاسن المشاهدة هناك . ثم ان من أسباب جعل قاع الخليج القديم مرتفعا حتى كان لايجرى فيه النيل إلا وقت الفيضان مجاورته للبحائر المالحة كما علمت فلذا لما عمل العزيز ترعة المحمودية أمر بسد أفواه تلك البحيرات من جهة البحر المالح فصارت المحمودية آمنة مما يغيرها ويعطل منافعها . فهذه الأعمال الجليلة من أعظم أسباب العمارة بتلك المدينة وكثرة الأهالى والاغراب فيها . وبسط الكلام على الخليج القديم وترعة المحمودية مذكور فى تاريخنا[١] لمصر فليرجع اليه من أراد الوقوف عليه » . اه

(١) ـ هذا الكتاب كثيرا ما أحال عليه في خططه ولكننا لم نعثر عليه لامخطوطا ولا مطبوعا .

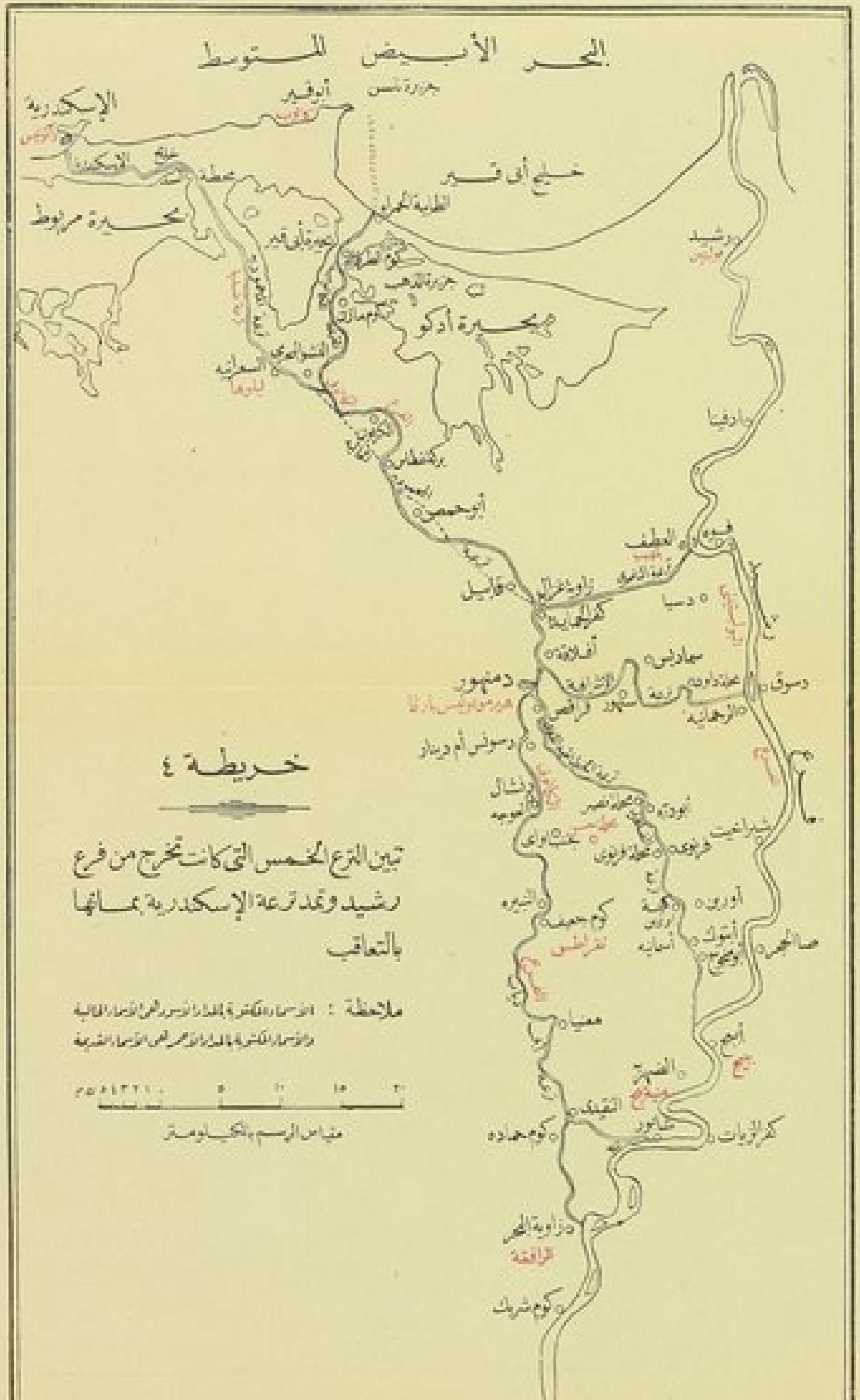

البحر الأبيض المتوسط
خريطة ١
الاسكندرية
القاهرة
ملاحظة


البحر الأبيض المتوسط
خريطة ٢
الإسكندرية
القاهرة
الجيزة
حلوان
السويس
خليج السويس

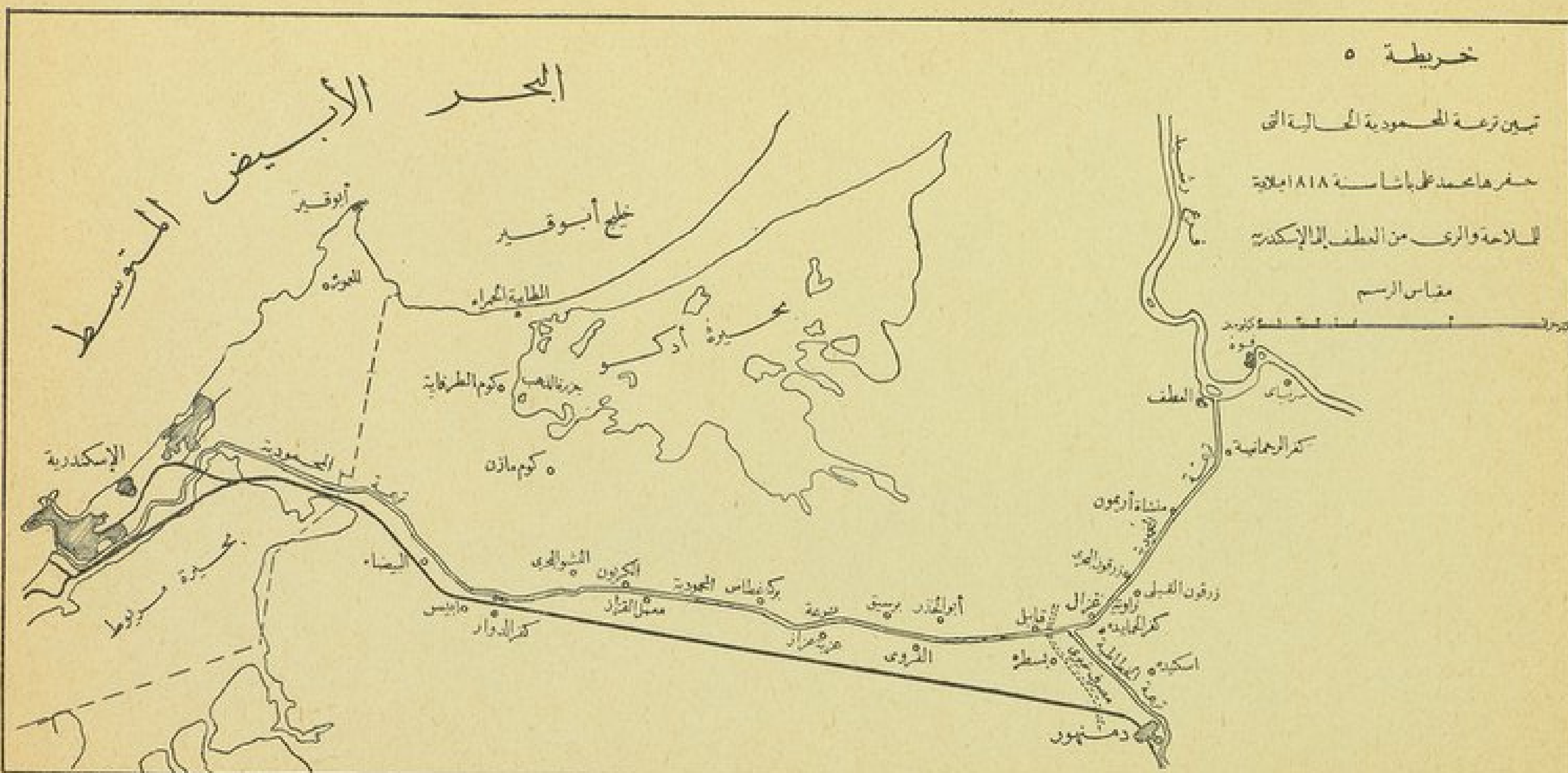


خريطة ٣.

تبين الجزء الشمالي من الفرع الكانوبي أحد فروع النيل السبعة القديمة الذي كان يصب عند أبي قير (كانوب) ويخرج منه من عند الشو البحري (شديا) ترعة شديا (خليج الإسكندرية) التي أنشأها الإسكندر سنة ٣٣١ ق م مع إنشاء المدينة



البحر الأبيض المتوسط
الإسكندرية
أبوقير
خليج أبي قير
بحيرة مريوط
بحيرة أدكو
رشيد
دمنهور
دسوق
كفر الزيات
كوم حماده
كوم شريك
زاوية البحر
خريطة ٤
تبين الترع الخمس التي كانت تخرج من فرع رشيد وتمد ترعة الإسكندرية بمائها بالتعاقب
ملاحظة :
مقياس الرسم بالكيلومتر



خريطة ٥
تبين ترعة المحمودية الحالية التي
حفرها محمد علي باشا سنة ١٨١٨ ميلادية
للملاحة والري من العطف إلى الإسكندرية
مقياس الرسم
البحر الأبيض المتوسط
خليج أبوقير
أبوقير
بحيرة أدكو
بحيرة مريوط
الإسكندرية
كوم مازن
كوم الطرفاية
جزيرة الذهب
الطابية الحمراء
البيضاء
كفر الدوار
الكريون
الشوالحي
معمل القزاز
أبو الخاذر
القروى
العطف
فوه
كفر الرحمانية
دمنهور
زرقون القبلي
كفر الخمايسه

الصور والخرائط

الصفحة

(تابع) الصور والخـــرائط

مراجع الكتاب

(١) — المراجع العربية .

(١) — كتاب : « فتوح مصر » لابن عبد الحكم .
(٢) — كتاب : « الخراج وصنعة الكتابة » لقدامة بن جعفر .
(٣) — كتاب : « المسالك والممالك » لابن حوقل .
(٤) — كتاب : « أحسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم » للمقدسى .
(٥) — كتاب : « نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق » للشريف الادريسى .
(٦) — كتاب : « قوانين الدواوين » لابن مماتى .
(٧) — كتاب : « تقويم البلدان » لأبى الفداء .
(٨) — كتاب : « صبح الاعشى » للقلقشندى .
(٩) — كتاب : « الخطط المقريزية » لتقى الدين احمد المقريزى .
(١٠) — وثائق محفوظات سراى عابدين ووثائق دار المحفوظات المصرية بالقلعة[١] .
(١١) — كتاب : « عجائب الآثار فى التراجم والأخبار » للشيخ عبد الرحمن الجبرتى .

---

(١) ـ الوثائق الأولى والثانية نشرنا فى هذا الكتاب من ص ٩٥ ـ ١٣١ تحت عنوان : « وثائق دار المحفوظات المصرية الملكية » .

(تابع) المراجع العربية .

(١٢) — كتاب : « نخبة الفكر فى تدبير نيل مصر » لعلى باشا مبارك .

(١٣) — كتاب : « الخطط التوفيقية الجديدة » لعلى باشا مبارك أيضا .

(٢) — المراجع الافرنجية

1. « Mémoire sur l'Histoire du Nil », par Le Prince Omar Toussoun, Tome V111, le Caire 1925.

2. « Description de l'Egypte », par les Savants de l'Expedition Française, Etat Moderne., Tome Second, Paris, 1813, pages 185 - 195.

3. « Notes et Souvenirs de Voyages, (1817 - 1877) », par Coste, Marseille 1878, pages 9 - 46.

4. « L'Histoire De L'Egypte Sous Le Gouvernment De Mohammed Aly », par M. Felix Mengin, Paris, Arthus Bertrand, 1823, Tome Second, pages 331 - 334.

5. « Mémoire sur les Principaux Travaux d'Utilité Publique exécutés en Egypte », Par Linant de Bellefonds Bey, Paris, 1872 - 1873, pages 348 - 355.

6. « Aperçu Général sur l'Egypte », par Clot Bey, Paris, 1840 . Tome Premier, pages 191 & 192, Tome Deuxième, page 470.

فهرس

موضوعات الكتاب

(تابع) فهرس موضوعات الكتاب

خطأ وصواب

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٩	٩	ريكوتيس	راكوتيس
١٨	٩	منية أبيج	منية ببيج
٢١	١٩	أبيج	ببيج
٣٩	١٨	عمود الصوارى	عمود السوارى
١٠٠	١٣	بيان	ببيان